البيان

مجلة أدبية ثقافية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين
العدد 516 يوليو 2013

هذه المتناقضات
سليمان الحزامي

النص ومقولات التأويل
د. عبد القادر عواد

نقاد يقيّمون .. "ساق البامبو" للروائي سعود السنعوسي
سعاد نجيب

معالم نجد في الأدب العربي
أسعد الفارس

كلمات أجنبية في اللهجة الكويتية
خالد سالم محمد

"أنقاض" الشاعر محمد السرغيني
د.عبد السلام المساوي

محمد السداح ..
بين التعليم والدبلوماسية

البيان
العدد 516 يوليو 2013
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين

صدر

حديثاً

وزارة الإعلام - مطبعة حكومة دولة الكويت
www.media.gov.kw

صدر

حديثاً

صدر

حديثاً

البيان

العدد 516 يوليو 2013

مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين

(صدر العدد الأول في أبريل 1966)

ثمن العدد

الكويت: ٥٠٠ فلس، البحرين: ٧٥٠ فلسا، قطر: ٨ ريالات، دولة الامارات العربية المتحدة: ٨ دراهم، سلطنة عمان: ريال واحد، السعودية: ٨ ريالات، الأردن: دينار واحد، سورية: ٥٠ ليرة، مصر: ٣ جنيهات، المغرب ١٠ دراهم.

الاشتراك السنوي

للأفراد في الكويت ١٠ دنانير.
للأفراد في الخارج ١٥ ديناراً أو ما يعادلها.
للمؤسسات والوزارات في الداخل ٢٠ ديناراً كويتياً.
للمؤسسات والوزارات خارج الكويت ٢٥ ديناراً كويتياً أو ما يعادلها.

المراسلات

رئيس تحرير مجلة البيان ص.ب 34043 العديلية - الكويت
الرمز البريدي 73251 - هاتف المجلة: 22518286 965+
هاتف الرابطة: 22518282/25106022 - فاكس: 22510603

رئيس التحرير
سليمان داود الحزامي

مدير التحرير
صالح المسباح

سكرتير التحرير
عدنان فرزات

التدقيق اللغوي
خليل السلامة

تنضيد
عبد الحميد باشا

موقع رابطة الأدباء على الإنترنت
WWW.KuwaitWriters.org

البريد الإلكتروني
ELBYAN@ hotmail.com

مجلة «البيان» مجلة أدبية ثقافية ، تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، وتعنى بنشر الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، ويتم النشر فيها وفق القواعد التالية:

1 ـ أن تكون المادة خاصة بمجلة البيان وغير منشورة أو مرسلة إلى جهة أخرى.
2 ـ المواد المرسلة تكون مطبوعة ومدققة لغويا ومرفقة بالأصل إذا كانت مترجمة.
3 ـ يفضل إرسال المادة محملة على CD أو بالإيميل.
4 ـ موافاة المجلة بالسيرة الذاتية للكاتب مشتملة على الاسم الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف ورقم الحساب المصرفي.
5 ـ المواد المنشورة تعبرّ عن آراء أصحابها فقط.

وزارة الإعلام - مطبعة حكومة دولة الكويت

Al Bayan

LITERARY JOURNAL ISSUED
BY KUWAIT WRITERS ASSOCIATION
(516) July 2013

Editor in chief

S.D.Al Huzami

Correspondence Should be Addresses to:

The Editor,
Al Bayan Journal
P.O.Box: 34043 Audilyia - Kuwait
Code: 73251 - Fax: +965 22510603
Tel.: (Journel) +965 22518286 - 22518282 - 22510602

Bayan July 2013 Inside.indd 2 6/26/13 9:05:59 AM

المحتويات

للبيان كلمة

من المتناقضات ..... سليمان الحزامي ٦

ملف البيان ..محمد السداح..بين التعليم والدبلوماسية...خليل السلامة ١٢

دراسات

النص ومقولات التأويل ..... د. عبد القادر عواد ٣٨

مقالات

سليمان الفهد رحل وفي قلبه هموم العباد .....د .عماد القادري ٥٨

قراءات

نقاد يقيّمون .. "ساق البامبو" للروائي سعود السنعوسي ..سعاد نجيب ٦٠

ديوان "تحت الأنقاض..فوق الأنقاض" لـ:محمد السرغيني.....د .عبد السلام المساوي ٦٧

"أولاد حارتنا" بين الواقعية والعبثية (٢-٥) ... سليمان الحزامي ٧٥

تراث

معالم نجد في الأدب العربي.....أسعد الفارس ٨٤

مسرح

دراسة أنثروبولوجية تحليلية.. في الإيروس والمقدس...ناصر الملا ٩٤

أعلام

عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ..سقط من ذاكرة التاريخ ...طلال الجويعد ٩٨

معاجم

كلمات أجنبية في اللهجة الكويتية..... خالد سالم محمد ١٠١

قصة

التحية..... حياة الرايس ١٠٦

غبار الروح ..... محمد عطية محمود ١٠٩

حل المشاكل ..... فيصل العنزي ١١٣

شعر

تداعيات..... د. خالد عبد اللطيف الشايجي ١١٦

عتبات الرحيل ..... محمد عبد الحميد توفيق ١١٨

البنفسج ..... زكاء مردغاني ١٢٠

رسول الفؤاد ..... د. محمد قاسم محمد حسين ١٢٣

من تاريخ البيان..... ١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

((يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي))
صدق الله العظيم

رابطة الأدباء الكويتيين وأسرة مجلة البيان
تنعي
بمزيد من الأسى والحزن فقيد الإعلام والصحافة والأدب

الكاتب/ سليمان صالح الفهد

الذي وافته المنية يوم ٢٠١٣/٦/٩م

سائلين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه
فسيح جناته ولذويه الصبر والسلوان
«وإنا لله وإنا إليه راجعون»

Bayan July 2013 Inside.indd 4 6/26/13 9:06:04 AM

للبيان كلمة

البيان

من المتناقضات .....سليمان الحزامي

Bayan July 2013 Inside.indd 5 6/26/13 9:06:07 AM

من المتناقضات

بقلم: سليمان الحزامي *

إن الحياة قامت ومازالت مستمرة على مجموعة من النظريات التي وضعها الإنسان ليُعبر عما في نفسه من آمال وطموح وحزن وألم، فالحياة في جميع مراحل الإنسان هي مفصلية الأحداث، فلا يوجد حياة بحدث واحد وإنما هناك مجموعة من الأحداث يتعرض لها الإنسان بين مد وجزر، بين دمعة وابتسامة، بين فرح وألم، كل هذه المتناقضات جاءت نتيجة لمسارات مختلفة في الحياة عبر عنها الكتّاب والشعراء كلاً في ميدانه وكلاً في مجاله، فالشاعر يقول القصيدة وهي مملوءة بالحب والحزن والفرح، يقولها وهو يرثي إنساناً عزيزاً عليه أو يشكو من هجر لحبيب ما أو يدعو على شخص ما، ويذهب الشاعر أحياناً إلى أن يهجو حتى نفسه، وهذا الانطباع ينتقل إلى الكتّاب كلاً في مجاله، فالأعمال الأدبية النثرية منها والروائية المسرحية منها والانطباعية، كلها تدور في فلك النقيضين، الحب، والكراهية، الغنى والفقر، الصحة والمرض، .. إلخ.

وهذا الإحساس يعبر عنه الأديب بوسائل مختلفة، وأبرز هذه الوسائل بطبيعة الحال هي الكتابة، وبشكل لا شعوري أحياناً وأحياناً أخرى بشكل مقصود، حيث يتطرق الكاتب إلى بعض المفاهيم أو المشاعر الإنسانية.

هذه المشاعر تكون وليدة لموقف ما نتيجة لحدث ما، ولعلاقة ما فهناك من يتخيل أنه معرض إلى مؤامرة وأن الآخرين يحاولون قدر الإمكان الإطاحة به من خلال تلفيق مؤامرة، فهو يعيش كمتهم بين أقوال من هنا وهناك، ويجد نفسه محاصراً بنظرية المؤامرة، فهو يعتقد أن سبب فشله في الحياة أن فلان يتآمر عليه، وأن سبب فشله في زواجه أو حياته العائلية أن أشخاصاً يغارون منه، فيؤلفون الحكايات الباطلة وغير الحقيقية حتى يتم هدم البيت، وهكذا لو انتقلنا إلى المناصب الاجتماعية والسياسية، فنظرية المؤامرة أطاحت بكثير من الناس؛ لأن الشعور بأن الآخرين يتآمرون عليك يجعلك في موقف واحد دائماً، هذا الموقف يكون متراجعاً إلى الخلف وليس متقدماً إلى الأمام فيكون هذا (السين) من الناس في حلقة من الخيالات التي يعتقد أنها مؤامرات تحاك ضده من رئيسه في العمل أو

Bayan July 2013 Inside.indd 6 6/26/13 9:06:10 AM

من أصدقائه يحسدونه على ثروة أو على وجاهة أو حتى على أمور تافهة فيعيش هذا (السين) في دائرة المؤامرة ولا يستطيع أن يتقدم.

وينطلق هذا الشعور -عزيزي القارئ- إلى الجماعات ولا أبالغ إذا قلت إلى بعض الدول، فهناك بعض القيادات السياسية في العالم التي تعتقد أنها محاطة بأسوار من المؤامرات، فهذه الدولة أو هذا الرئيس يبدأ في محاولة يائسة في التعرف على مصادر هذه المؤامرات، وهو في الحقيقة لا توجد مؤامرات، ولكن الشعور بالمؤامرة من الآخرين هو الذي يجعله متخلفا في بناء دولته أو أسرته أو مجتمعه، إن الشعور بنظرية المؤامرة أسقط ملوكا وهدم حضارات، فكثير من الحضارات التي حكمها أشخاص بارزون سقطت دولهم ونسى الناس حضارتهم للشعور الذي ينتاب هذا الحاكم بالمؤامرة بشتى أنواعها إن كانت خارجية أو داخلية، عائلية أو اجتماعية من أطراف أخرى يعتقد هو أن الحسد والغيرة سبب من أسباب سقوط تجارته أو دولته أو حتى المنصب الذي يتمتع به كأن يكون وزيرا أو قائدا أو كاتبا... إلخ.

وإذا تركنا الشعور بالمؤامرة غير الحقيقية، وانتقلنا إلى نظرية التغيير الاجتماعي القائم على الثروة والتغيير المفاجئ، وهذه النظرية نجدها موجودة على مدى التاريخ، لكن في أيامنا هذه ولسهولة بناء الثروات أصبح الشعور بالتغيير الاجتماعي آفة، وهي آفة بالفعل إن لم يحسن الإنسان استغلال هذا التغيير الاجتماعي والتعامل معه على أنه عمل مشروع وبعيد كل البعد عن الحسد وقريب كل القرب من فقدان الثقة بالنفس، فالتغيير الاجتماعي نظرية مقبولة إذا تعاملنا معها على أنها طموح مشروع من خلال خطوات وأساليب مشروعة؛ لأن التطور الاجتماعي على مستوى الفرد قد يكون موجودا أو هو موجود بالفعل، ولكن من خلال وسائل غير مشروعة كهؤلاء الذين يكونون ثروات من طرق غير مشروعة كالذين يهربون المخدرات أو تزوير العملات أو التجارة بالرقيق الأبيض إلى آخر هذه الأساليب المرفوضة دينيا واجتماعيا.

فالتغيير الاجتماعي الإيجابي -كما ذكرنا- أمر مرغوب إن كان يأخذ الوسيلة المشروعة وليس الوسيلة القائمة على الخروج عن الدين والأعراف الاجتماعية والأخلاق.

وأكاد أذهب إلى أن نظرية التغيير الاجتماعي ستظل أكثر الحركات ذات الآثار الواضحة في المجتمع إن كانت إيجابية أو سلبية وكما ذكرنا عن نظرية المؤامرة فإننا نجد أيضا أن نظرية التغيير الاجتماعي تمتد أفقيا وعموديا لكثير من صناع القرار في المجتمع الحديث، وهذا الرأي يؤكده ما يسمى بأثرياء الحرب أو أثرياء المجهول وأيضا هذا النوع من الناس نجده مع الأسف الشديد منتشرا في بعض المجتمعات العربية ولا يخفي بطبيعة

Bayan July 2013 Inside.indd 7 6/26/13 9:06:12 AM

الحال الآثار السلبية التي تتركها هذه الشريحة في سلوكيات المجتمع وأخلاقه، إذن نصل إلى أن نظرية المؤامرة ونظرية التغيير الاجتماعي إذا أسيئ استخدامها فإنها تكون من أبرز أدوات هدم المجتمع وانتشار الفساد.

وهذا يدفعنا إلى أن نتساءل ما هي وسائل الإصلاح؟ وهنا ومن خلال التاريخ القديم والحديث نجد أن نظرية الثورة هي الطريق الوحيد للتغيير الإيجابي في أي مجتمع إنساني، فالديانات السماوية اليهودية منها والمسيحية والإسلام العظيم عملت على تغيير المجتمع وتغيير الإنسان وعملت هذه الأديان على وضع الإنسان في الطريق الصحيح بعيداً عن نظرية المؤامرة المفتعلة أو نظرية الفساد الاجتماعي إذا تم التأكيد على هذه النظرية من خلال السلبيات وليست الإيجابيات.

فالثورات التي كما قلنا بدأت مع الأديان السماوية وقمة هذه التغيرات جاءت من خلال الدين الإسلامي العظيم، وهذا يعيدنا إلى أن نؤكد على أن لو أن الإنسان طبق الثورة الإسلامية من خلال المفاهيم والعباداتٍ لأصبح لدينا طريق واضح المعالم نحو مجتمع أكاد أن أقول مجتمعاً مثالياً، ولعل هذا الرأي يؤكده بداية البعثة النبوية وظهور الإسلام على يد سيد هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، فمجتمع المدينة المنورة وقبل ذلك الدعوة في مكة عمل الإسلام بهما على بناء إنسان ذي قيم وصفات حميدة مبنية على التعلق بالواحد الأحد الفرد الصمد وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، ومع تطور الزمن بدأت بعض هذه المفاهيم تتراجع، وجاءت ثورات بشرية عادية تنادي بالمساواة وتنادي بتنظيف المجتمع من الصنف الأول والثاني في صدر هذه المقالة، ولعل الثورة الفرنسية التي انبثق عنها ميثاق حقوق الإنسان وبعد ذلك عصبة الأمم المتحدة وهيئة الأمم المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية كل هذه الأمور هي محاولات بشرية من خلال ثورات قادها ناس مصلحون لكن النفس البشرية والعودة إلى الشعور بالمؤامرة والعودة إلى الخروج على التغيير الاجتماعي دفع الإنسان إلى أن يبتعد عن المثالية الدينية والتي هي بطبيعة الحال مثالية اجتماعية، والتقصير ليس في الدين -لا سمح الله- ولكن في المتلقي الذي أحيانا يحاول أن يوظف الدين لأمور دنيوية.

إن الحديث حول المتغيرات التي تتوالد من خلال الشعور بالمؤامرة أو التغير الاجتماعي أو الحراك الثوري كلها تطلب من الإنسان أن يفكر مرتين أو ثلاث قبل أن يتخذ قراراً، هذا القرار بطبيعة الحال هو قرار مصيري لكن الخوف من المجهول والهروب من الموروث الأخلاقي الجميل الذي جاءت به الأديان والدعوات الإنسانية تدفعنا إلى أن نتساءل إلى أي مدى سيظل الإنسان صامداً وراضيا بهذا النوع من الحياة المبنية على

Bayan July 2013 Inside.indd 8 6/26/13 9:06:15 AM

الاعتقادِ بنظرية المؤامرة الفاشلة أو التغيير الاجتماعي السلبي، إننا نريد مجتمعاً يؤمن بالرسائل السماوية وخاصة رسالة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام والإسلام الحنيف.

قد يرى البعض إن ما قرأه القارئ العزيز هي شطحات أو أحلام ولكن علينا أن نتذكر دائماً أن كثيراً من الأمور صارت حقيقة وتحولت إلى واقع من بداية بسيطة جداً هي الحلم.

وأجمل ما يرى الإنسان في حياته هو أن يرى أحلامه وقد تحققت، ولنا في صاحب غلاف هذا العدد الأستاذ المربي محمد جاسم السداح نموذج لمن حول الحلم إلى واقع، فالأستاذ السداح بدأ حياته مدرساً وقضى شطراً من حياته في علم أو في عالم التعليم والتربية وقضى وطراً آخر من حياته في الدبلوماسية الكويتية ووصل أن يكون سفيراً لبلده في أكثر من محطة عربية وأجنبية، لكن الحنين إلى ميدان التربية والتعليم أعاده إلى بلده وأنشأ مدرسة خاصة ثنائية اللغة ونجح بها من خلال نجاحه وإيمانه برسالة المعلم وبرسالة التربية وإصلاح المجتمع.

إن الأستاذ محمد السداح ونحن نزين هذا العدد بصورة الغلاف، فنحن نكرم رجلاً خدم بلده من خلال النمو القومي والعروبي في الكويت، فقد مر الأستاذ السداح بمراحل المشاركة في المد القومي العربي في الكويت مع زملاء له، منهم من يعيش بيننا ومنهم من قضى نحبه، لكن هذا الشعور .. الشعور العربي القومي الكويتي ظل يلازم الأستاذ محمد السداح من خلال تعلقه بمهنته الأولى وهي التعليم والتربية، ولعل الحديث عن الأستاذ محمد السداح لو أردت أن أفرد له صفحات فإنني أحتاج الكثير ولكن مع الإلتزام بالمقولة العربية: خير الكلام ما قلّ ودلّ، فإنني أقول كفى الله الكويت فخراً أنها أنجبت رجالاً عظاماً، من بينهم رجل خدم بلده وأبناء بلده من خلال التعليم والسفارة والحراك الوطني والثقافة.

الأستاذ محمد السداح سيظل في ذاكرة الكويتيين إلى أن يشاء الله وهو من أولئك الذين يعملون بصمت ويحاولون قدر الإمكان أن يبتعد عن الأضواء وإن كانت أفعاله تسحب الأضواء إليه، ولعلنا في البيان نعطيه شيئاً من التكريم وإن كان يستحق أكثر.

وتشاء الظروف ونحن على وشك الانتهاء من العدد الذي بين يديك -عزيزي القارئ- أن تفاجأ الكويت برحيل أحد أبنائها البررة ذلك الصحفي النشط صاحب التعريف بنفسه: العبد لله، ففي يوم ٢٠١٣/٦/٩، جاء الناعي يرفع صوتاً مليئاً بالحزن والألم بأن نقل إلينا خبر وفاة الناشط الإعلامي في مجال الصحافة والقلم «سليمان صالح الفهد» صاحب زاوية سوالف وغيرها من المقالات التي كتبها على صفحات صحف الكويت ومجلة العربي، كما كتب عن خواطره وتوجهاته القومية والعربية على صفحات صحف الوطن

Bayan July 2013 Inside.indd 9 6/26/13 9:06:18 AM

العربي المنتشرة، من المغرب العربي مروراً بالعواصم الثقافية العربية.

سليمان الفهد أو أبو نواف كما يحب أن تناديه الناس رجل من نوع خاص وهو صعلوك الصحافة الكويتية وهو المتحرك دائماً نحو الإصلاح والنقد الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي وكانت عبارته أو اسمه الحركي في مقالاته العبد لله تميزاً واضحاً فيما يكتب.

كان لقائي معه يوم ٢٠١٣/٦/٨ أي قبل وفاته بيوم في منزله بمنطقة كيفان حيث يسكن، وسجلت له أربع حلقات تلفزيونية وثقت بها حياته المليئة بالحراك والتحرك وخرجت وأنا ثمل بالفرح والغبطة إنني استطعت أن أسجل حياة هذا الإنسان الغني بتجاربه ومواقفه في الحياة، سليمان الفهد صعلوك الصحافة الكويتية رحل ولكنه بالتأكيد ترك أثراً ثقافياً من خلال كتاباته التي كانت حديث الدواوين وكانت إشارة الإصلاح والتوجيه نحو المجتمع الذي يعيش فيه من خلال أسلوب ساخر ولاذع ولكنه محبب إلى النفس.

سليمان الفهد هو من القلة التي تختلف معها ولكنك ملتزم لها بالحب والتقدير، الكلمات تغص في فمي وفي عقلي، ففقدان هذا الصديق بالنسبة لي ولمن يعرفه ليس أمراً سهلاً ولكن هذه سنة الحياة وكل إنسان له نهاية، والحمد لله أن سليمان الفهد أنهى حياته بخمسة من الأولاد يرفعون اسمه، ناهيك عن ابنه الشهيد نواف الذي ذهب ضحية العدوان العراقي في يوم من الأيام، كما أنه ترك أثراً ستحفظه الأجيال وهو كتاباته اللاذعة ونيته الصافية نحو الإصلاح ولا شيء غير الإصلاح.

رحمك الله يا أبا نواف والعزاء للسيدة أم فواز ولأبنائها ولكل من عرف سليمان الفهد ..

منا الدعاء.. والرحمة من الباري عز وجل.

وللبيان كلمة.

● رئيس التحرير

Bayan July 2013 Inside.indd 10 6/26/13 9:06:21 AM

ملف البيان

محمد السداح..

بين التعليم والدبلوماسية

إعداد
خليل السلامة*

* تربوي ولغوي سوري مقيم في الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 11 6/26/13 9:06:23 AM

محمد جاسم السداح *

بين التعليم والدبلوماسية

- ولد في الكويت سنة ١٩٣٣م.
- درس في مدارس الكويت حتى إتمام المرحلة الثانوية.
- بدأ العمل في التعليم عام ١٩٤٩ في مدرسة النجاح.
- ظل في سلك التعليم حيث تدرج في وظائف وكيل مدرسة ابتدائية، ثم ناظراً لمدرسة الفارابي الابتدائية عام ١٩٥٩/١٩٦٠- حتى ١٩٦١م.
- عمل في بلدية الكويت مساعداً لأمين سر المجلس البلدي عام ١٩٥٣م.
- انتقل من التعليم إلى وزارة الخارجية في أكتوبر ١٩٦١م.
- كان رئيساً لقسم الشؤون العربية في الإدارة السياسية لعام ١٩٦١م-١٩٦٦م حيث حضر الكثير من اجتماعات الجامعة العربية.
- نقل إلى سفارة الكويت في الرباط (المغرب) ١٩٦٦م.
- ظل في عمله في سفارة دولة الكويت بالمغرب حتى ١٩٧١.. وقد كان مستشارا للسفارة هناك.. ثم قائماً بالأعمال لمدة سنتين.
- نقل عام ١٩٧١م إلى ديوان الخارجية.. حيث رشح سفيراً لدولة الكويت لدى الأردن عام ١٩٧١م-١٩٧٣م.
- نقل من سفارة دولة الكويت لدى الأردن نهاية عام ١٩٧٣م، حيث عمل مديراً للإدارة الاقتصادية لمدة ثماني سنوات- حضر خلالها الكثير من المؤتمرات العربية والإقليمية والدولية على مستوى السفراء أو الوزراء حتى ١٩٨٠م.
- نقل للعمل سفيراً لدولة الكويت في أسبانيا عام ١٩٨٠ حتى ١٩٨٢م.
- تقاعد من العمل عام ١٩٨٣ بعد خدمة استمرت ٣٣ سنة.
- تفرغ لعمله الخاص.. ونشاطه الرئيسي ميدان التعليم.
- صدر له كتاب (الطريق - بعض من ذكرياتي) عام ٢٠١٢م.

---

* السيرة الذاتية عن الأستاذ محمد جاسم السداح نفسه.

Bayan July 2013 Inside.indd 12 6/26/13 9:06:26 AM

أحمد محمد السقاف.. مجموعة من المواهب

بقلم: محمد السداح

الأستاذ/أحمد السقاف ولد في اليمن.. وكان قلب والديه يحدثهما بأن هذا الابن سيكون له شأن كبير في الحياة الخاصة والعامة.. لذا صمما على تعليمه في سن مبكرة.

نشأ شاباً ذكياً طموحاً جسوراً يملؤه الأمل بمستقبل واعد فمنذ بداياته حفظ القرآن كاملاً وعدداً كبيراً من الأحاديث الشريفة مما شكل غرساً كريماً لحب اللغة العربية لديه والتغني بها..

ثم أكمل دراسته الثانوية في العراق وأصبح معروفاً بين زملائه حتى انتقل إلى كلية الحقوق وانضم حينها إلى الجمعية العربية السرية التي كانت تناضل من أجل استقلال العرب.. وأصيب في عضده أثناء مشاركته مع المجاهدين بقيادة عبد القادر الحسيني ضد رشيد عالي الكيلاني عام ١٠٤١.. والتف حوله ثلة من شباب بغداد المثقف المتنوع الجنسيات من الأدباء والمفكرين والمجاهدين العرب الذين قدموا إلى بغداد وقد كان هذا الاختلاط عاملاً مهماً للزاد الثقافي الذي يسعى إليه النابهون.

وبعد ذلك انتقل إلى الكويت وعايش مرحلتي القديم والجديد.. كان محباً للأدب والشعر فكان عمله ومسيرته الأدبية تسيران جنباً إلى جنب حتى عام ١٩٩٠ حيث توقف عن العمل ولكن عطاءه في مجالي الشعر والأدب ظل مستمراً حتى وافاه الأجل المحتوم في الكويت في أوائل شهر رمضان عام ١٤٣١ هجري- أغسطس ٢٠١٠ ميلادي.

في الأربعينيات من هذا القرن بدأ الأستاذ/ أحمد السقاف حياته العملية الأولى في الكويت بمجال التربية والتعليم إذ درّس اللغة العربية في المدرسة المباركية وكان يعطي الدرس حقه من حيث الشرح والتفسير، وبسبب انتمائه القوي للعروبة- فقد كان يوزع الحصة ما بين الشرح والتوضيح لمادة الدرس ثم ينهيها بتوجيه قومي سليم وانتماء للبلد وللوطن العربي.. وقد كان له دور كبير في بث الوعي القومي لدى طلاب المرحلة الثانوية الذين كان يدرسهم وحثهم على الاهتمام بالقضايا العربية وفي المقدمة منها قضية فلسطين..

وقد كان الأستاذ/ أحمد السقاف ينظم قصيدة في كل مناسبة يحضرها أولياء الأمور الذين كانوا ينبهرون بحلاوة إلقائه وروعة أدائه حيث كانت

Bayan July 2013 Inside.indd 13 6/26/13 9:06:28 AM

ساحة المدرسة تهتز بسبب قوة صوته الجهوري وسحر بيانه..

كان الأستاذ/ أحمد السقاف يترك أثراً لا يمحى لدى المستمعين برقة أسلوبه وجزالته واستخدامه الألفاظ المعاصرة المناسبة والتراثية المحببة التي تسلب اللب وتثري الخيال ولا يشعر المتلقي بالملل فيشعر أنه أمام المتنبي أو أبي فراس الحمداني وهذا نادر عند الشعراء المحدثين.

كما أنه أصبح ناظراً للمدرسة الشرقية.. فكان حريصاً على تعليم أبناء الوطن حب اللغة والإخلاص لها فكان يكتب المقالات وينظم الشعر ويفكر دائماً في مستقبل الكويت.. فأقام ندوات رسمية في منزله كانت تتداول الأحاديث الأدبية وتبحث في شؤون الأمة كما أنشأ مجلة كاظمة وهي مجلة أدبية وقد نشر فيها أفكاره وآراءه التربوية والقومية.

كما أنه كان أحد مؤسسي النادي الثقافي القومي برئاسة الشيخ المرحوم/ عبد الله مبارك الصباح وكان وقتها رئيساً للأمن العام وبعضوية كل من:

- **الأستاذ عبد الله علي الصانع.**
- **الأستاذ/ أحمد السقاف.**
- **الأستاذ عبدالله حسين.**
- **الأستاذ عبد الرزاق البصير.**
- **الدكتور/ أحمد الخطيب.**

واستمر النادي الثقافي القومي بالقيام بهدفه المخطط له من قبل المجموعة الوطنية من أبناء الكويت الممتلئين عروبة وانتماء لهذه الأمة ورغبة بأن يروها موحدة عزيزة الجانب، وقد أصدر النادي مجلة ثقافية شهرية تحت اسم «مجلة الإيمان» كانت تطبع في بيروت وتوزع بالكويت وبعض الدول العربية.

ورغبة من الأستاذ/ أحمد السقاف بأن يزيد من بث الوعي القومي والوطني والاهتمام بالقضايا المحلية الشعبية- فقد اقترح على النادي إصدار ملحق أسبوعي لمجلة الإيمان بعدد قليل من الصفحات وبحجم صغير يكتب هو أغلب موضوعاته باحثاً في الشؤون المحلية والعربية إضافة إلى ما يقدمه الزملاء الآخرون من مقالات صغيرة.

ولا شك أن هذا دليل اهتمام في الثقافة ونشر الوعي بين المواطنين والاهتمام بقضاياهم اليومية وقد كان للأستاذ/ أحمد السقاف دور بارز في الأحداث التي مرت بها المنطقة العربية خلال فترة الخمسينيات حيث أقام المهرجانات ونظم المحاضرات ودعا إلى المظاهرات تأييداً لأي قضية عربية وفي مقدمتها قضية تأميم قناة السويس والتصدي للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م.

وبعد أن أدى الكثير مما عليه معلماً وأديباً وعمل في وزارة الأوقاف ثم انتقل إلى دائرة المطبوعات والنشر والتي كانت نواة لوزارة الإرشاد والأنباء وعمل هناك لمدة ثماني

Bayan July 2013 Inside.indd 14 6/26/13 9:06:31 AM

سنوات وقد عين نائباً للمدير العام لدائرة المطبوعات ثم وكيلا للوزارة بعد الاستقلال ومن ثم قدم استقالته ليعين عضوا منتدبا للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي برئاسة وزير الخارجية حينها الشيخ/ صباح الأحمد الجابر الصبح – سمو أمير البلاد حاليا.

والأستاذ أحمد السقاف له الفضل في إنشاء وقيام مجلة العربي ليخرج العدد الأول في ديسمبر سنة ١٩٥٨ وهي المجلة التي تعني بالثقافة والأدب ولازالت تصدر في الكويت منذ أكثر مما يزيد عن خمسين عاما.

وهو متعدد المواهب ثري العطاء فهو شاعر وخطيب ونحوي وباحث في مجالي الأدب والتاريخ وأحد مجددي الشعر العربي المعاصر وقد درست قصائده في الكثير من المدارس والجامعات على امتداد الوطن العربي وترجمت قصائده إلى الإيطالية والفرنسية بل أصبح فكره ونهجه الأدبي يدرسان في جامعات أوروبية منها جامعة نابولي حيث يدرس طلبة قسم اللغة والأدب العربي شعر أحمد السقاف، والسر في ذلك يعود إلى عمق ثقافته، ووعية السياسي، وإدراكه للتحولات والتغيرات، واطلاعه على ثقافات مختلفة بلغاتها. وهو من قبل ومن بعد مناضل وطني وقومي ورائد من رواد العمل الصحافي فضلا عن براعته وصرامته في الإدارة وفي التعليم.

من بين أهم المراكز الثقافية والمحطات التي يجب أن نتوقف عندها قليلاً هي التي كانت لها حكايات مع الأستاذ/ أحمد السقاف والذي كان يشغل منصب العضو المنتدب لهيئة الجنوب والخليج العربي عند تنظيم الأسبوع الثقافي الكويتي في المغرب عام ١٩٧٠.. ومن المعروف أن المغرب يزخر بالمخطوطات العربية حيث يقدر عددها في ذلك الوقت بأكثر من ٢٠٠ ألف مخطوطة في مختلف العلوم والفنون وقد حضر بعض تلك المخطوطات في خزانة الرباط- المكتبة- وطبعت في مجلدين كبيرين وضما ما يزيد عن ٦٠ ألف مخطوطة مرقمة ومفهرسة.

ومن هذا يتضح أن الأستاذ أحمد السقاف عاش العروبة وعايش القضايا العربية وساهم فيها على قدر إمكانياته فلذلك لا عجب أن رأينا الأستاذ أحمد السقاف يتفاعل مع قضايا عصره ويحمل عبئاً ثقيلاً من القومية ويعيش مع كل حدث يقع في أي بلد ويعبر عن ذلك شعرا رائعا من حيث الصياغة والأسلوب ومن حيث جرأة الخطاب والتعبير والغزارة في العطاء والأعلى في الثقافة فلا عجب أن يطوف في بقاع الأرض حاملا معه آلامها وآلام غيرها فحين يقرأ المرء شعره يحس أنه يعبر تماما عما في نفسه لذا نرى قصائده شائعة وذائعة الصيت تتسرب إلى قلوب العرب جميعا قبل أن تدخل الكتب

وإنني بهذه الدراسة سأحاول أن ألقي الضوء على اهتمام الأستاذ

Bayan July 2013 Inside.indd 15 6/26/13 9:06:33 AM

أحمد السقاف بالقضايا العربية وتفاعله معها.

وقد كان الأستاذ/ أحمد السقاف غيوراً على بلده الكويت محباً لدول الخليج العربي ووطنه العربي كله يحرص على خدمته ويرفع رايته على عمود شعره وقد كان يدعو إلى نبذ الفرقة ومحاربة العزلة وكان صوته حراً يدعو للثورة ضد الاستعمار ويستنهض الهمم.

فقال مما يدل على قوميته وولائه للعروبة:

لن أهاب القنابل الذرية
فأنا الآن قد وعيت القضية
موقفي موقف الرجال وإني
عربي من أمة عربية

كما قال أيضاً:

إن العروبة إقدام وتضحية
والعرب عبر عصور الدهر ماهانوا

وقال:

إن قوميتي شعوري بأني عربي ولي فخار وسؤدد

إن قوميتي فداء وبذل
لبني أمتي إذا جد ماجد
أتحدى بغي الطغاة بوعي
تتباهي به النجوم وتعتد

* جمهورية مصر العربية (١٩٥٦).

أحب الأستاذ أحمد السقاف مصر من أول زيارة لها ووصفها في أشعاره وصف سائح محب لمعالمها وكان أثر معركة بورسعيد التي انتصر فيها شعب مصر أثراً عظيماً إذ ابتهج العالم العربي وتحمس الشعراء لهذا الانتصار وجادوا بالشعر الجميل ومنهم كان أحمد السقاف الذي قال:

بالنار بالدم بالحديد
وقفت تكافح بورسعيد
بلد العروبة لا تهاب
لظى القتال ولا تحيد
وقفت فكان لها الخلود
وقوف جبار عنيد
تملي على التاريخ
والتاريخ يكتب ما تريد
أسطورة ستظل شامخة
على مر العهود
يزهو بها الجيل القديم
ويفخر الجيل الجديد

الجزائر (١٩٦٢) :

إن ثورة الجزائر ضد الاستعمار كانت مصدراً ثرياً للشاعر القوي الممتلئ حماساً والمتقد فرحاً لكل نصر يحققه الشعب العربي وقد نظم بالجزائر أشعاراً كانت تمثل شعلة تحريرية أضاءت سماء الوطن العربي إذ قال في قصيدته « قبلة إلى أوراس»:

بأبي أوراس كم من شاعر
لم يجد من هول ما ضحى بيانا
أذهل الإعجاز منه وحيه
واللسان الطلق لم يبق لسانا
والبطولات إذ ما أعجزت
قصر الوصف وعانى ثم عانى
لم ير التاريخ في أدواره

Bayan July 2013 Inside.indd 16 6/26/13 9:06:35 AM

مثل هاتيك الوغي حرباً عوانا

جمال عبد الناصر ١٩٦٧:

إن لجمال عبد الناصر في شعر أحمد السقاف وقفات إعجاب وتقدير على بطولاته المشرفة فكان يراه القائد العربي المخلص الصادق فوجه إليه الخطاب بعد نكسة ١٩٦٧ بأنه هو القائد الوحيد الذي يمكنه مجابهة العدو فوجه إليه قصيدة بعنوان « يا قائد العرب» وقال:

الجرح جرحك قم للثأر منتقماً
والأرض أرضك فاسحق رأس من ظلما
لا تحفلن بأسطول يدل به طاغ
يجر إلى تابوته قدما
والحق أبلج لو يبغون رؤيته
هيهات يبصر من في ناظريه عمى
وصرخة الحق تأباها مسامعهم
من يسمع الحق منهم يشتك الصمما

فلسطين (١٩٦٨):

عاصر شاعرنا قضية فلسطين منذ ما قبل التقسيم حتى وافته المنية وهو يحملها في قلبه ووجدانه وهو إن حكى عن فلسطين فإنما يعني الوطن العربي وإن حكى عن الوطن العربي بآلامه فإن سببها فلسطين الدامية ومن بين ما قال نذكر هنا:

هي الشرف المطعون والهم والألم
ينوح لها الوجدان والفكر والقلم
بلاد رسمناها على كل مهجة
ومن كل قلب نفتدى أرضها بدم
وفي كل عين غضبة يعربية
تزلزل في تصميمها الأرعن الأشم

عمان والخليج العربي (١٩٦٨):

حينما قام شاه إيران حينها باعتبار الخليج العربي خليجاً فارسيا وأراد احتلال منطقة الخليج ومنها سواحل سلطنة عمان – نظم قصيدته الرائعة « عمان والخليج العربي» قال فيها:

كل شبر من التراب العماني
هو قلبي ومهجتي وكياني
أفتديه وكل حبة رمل منه
أغلى عندي من العقيان
وله في دمي حقوق
وهل ينكر حق الديار غير الجبان

إيه بغداد (١٩٦٩):

لم يحب الأستاذ/ أحمد السقاف عاصمة عربية خارج حدود شبه الجزيرة العربية حبه لبغداد ونظم فيها من الشعر ما لم ينظمه العراقيون أنفسهم في عاصمتهم إذ قال فيها:

إيه بغداد والأحاديث شتى
غير أن المديح ليس اهتمامي
ما عهدناك في النوائب إلا
فتكة الفجر في جيوش الظلام
يا بني العرب في العراق وقاكم
فتنة ذو الجلال والإكرام
ناصح ليس لي سوى النصح
في القول وعذري مودتي وهيامي

المغرب(١٩٧٠):

حينما حل السقاف – مع الوفد الكويتي- ضيفاً على المغرب ألقى

Bayan July 2013 Inside.indd 17 6/26/13 9:06:38 AM

قصيدة عنوانها « لقد أزفت» أطربت الشعب المغربي وشرحت صدورهم فقال:

طربنا إلى رؤية المغرب
ورؤية شعب كريم أبي
يدل بأعراقه الموغلات
صعوداً إلى النسب اليعربي

دمشق (١٩٧١)م:

كعادته يشيد شاعرنا الأستاذ/أحمد السقاف بعواصم الدول العربية ومن هذه العواصم نجده هنا يشيد بدمشق وبأمجادها فيقول:

دمشق إليك تحن النفوس
وبالغوطتين تقر النواظر
وتاريخك الضخم ملء العيون
له ضجة في جميع الحواضر
دمشق أيا بسمة في الشفاه
ويا أملاً تجتليه الخواطر
لك الله صوتاً إذا ما دعوت
تنادت تلبيك كل الحناجر

تونس (١٩٧٣)م:

إن تونس غالية على قلب شاعرنا وكعادته منحها حزمة من الحب واعتبر أهل تونس من أهله وجميعهم من أسرة واحدة فقال:

يا بني تونس عفواً إن بدت
كلمات لم يحالفها الصواب
نحن أهل لم يزل يجمعنا أمل
حيناً وأحياناً مصاب
أنجبتنا أمة واحدة
ينتمي أصل إليها وانتساب
ما نسيناكم ففي وجداننا
لكمو شيدت بروح وقباب

اليمن (١٩٨١)م:

في اليمن أنشد قصيدته « صنعاء» وأعلن للحضور أنه قدم إليهم وهو يحمل بين جاحيه حب العروبة إذ قال:

قدمت فاستقبلتني بالهوى عدن
والحب مذ كان ما ضنت به اليمن
وصحبتي من مصابيح البيان فهم
في كل مؤتمر أو منتدى لسن
مشوا على الدرب سداً لا يخيفهم
ما يزعم الحقد أو ما تجلب المحن
ويرفعون لواء يستظل به
من قال أن بلاد العرب لي وطن
رسالة ما حملناها مجازفة
لدى الأديب تساوي الثوب والكفن

الكويت (١٩٨٣- ٢٠١٠)م:

كانت الكويت الوطن الأم لشاعرنا فمهما أحب السقاف دول الوطن العربي كافة فإن هذا الحب لا يقاس بحبه للكويت التي يلهج بها فؤاده في كل مناسبة فيقول:

أحييك أم ألثم الوجنتين
لقد شاقني منك هذا اللقاء
وقد كان ظني به بين بين
فما أعذب الوصل بعد العناء
أحبك والحب في المقلتين
يطل ويفضح ما في الخفاء

وللشاعر أيضاً قصائد وطنية عديدة، نستشف من خلالها تلك

Bayan July 2013 Inside.indd 18 6/26/13 9:06:40 AM

المحبة العميقة التي يكنها لأرض الكويت، قصائد غاية في الصدق والعذوبة: فقد قال فيها:

أفدي الكويت تراباً ملؤه شمم
وما تعشقت إلا العز والشمما
صددت عنها قريضي عاتباً زمنا
والقلب فيها يعاني الوجد والسقما
وفي الكويت رجولات تفيض ندى
لدى العطاء وترعى العهد والذمما

وفي قصيدة أخرى يقول:

يقول لي الناس ما اسم الحبيبة؟
لقد حير الفكر هذا السؤال
فقلت الحكاية جداً غريبة
فما من غموض وما من خيال
أعيدو التأمل في كل بيت
فقالوا عرفنا الكويت الكويت

وقد ملأ عليه حب الكويت جوارحه فكان يحمل في ثناياه شوقاً إليها أينما حل، فهنا نجده ينظم «أغنية العودة» بعد تحرير الكويت عام ١٩٩١ فكتب:

يا بلادي يا هوى قلبي المعذب
لست أدري أي شيء لك يكتب
أشهر مرت فكانت أعصرا
كلها هم ودمع يتصبب

وقال في شهيدات الكويت والتي تدرس ضمن مناهج وزارة التربية:

الرفض والأقدام والإصرار
شرحت معانيا لنا أسرار
شرحت معانيها ببذل دمائها
وعلى الدماء تحرر الأقطار
وقفت بوجه المعتدين بطولة
شماء حار لبأسها الجزار
كانت وفاء فوق ما يرجو الحمى
فهما وربك في الفدى اعصار
قد عاشتا حب الكويت ومن يعش
حبا فلا خوف ولا أخطار

Bayan July 2013 Inside.indd 19 6/26/13 9:06:43 AM

محمد جاسم السداح لـ: البيان
العمل التربوي يتطلب ثقافة عامة وسعة أفق واستعداداً للبحث عن الحقيقة

أجرى الحوار: خليل السلامة *

- أكد التربوي والدبلوماسي محمد السداح أن الحركة الثقافية في دولة الكويت مستمرة وأن وسائل التواصل ساعدتها كثيراً، كما ذكر أن الكويت قد عرفت التجمعات الأدبية والسياسية منذ نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين نتيجة التآلف بين الكويتيين والمجموعات المتعلمة التي وفدت إلى الكويت، وأشار بأن العمل التربوي يتطلب ثقافة عامة وسعة أفق واستعداد للمناقشة والبحث عن الحقيقة.

- كل هذا وغيره الكثير نجده في الحوار الآتي مع هذه الشخصية التربوية والدبلوماسية:

• الثورة الإعلامية في القرن الحادي والعشرين سلاح يحمل أكثر من حد.. فكيف نستطيع أن نوظف الإعلام لخدمة الإنسان الكويتي خاصة والإنسان العربي عامة ثقافة وفكراً وسياسة؟

- الثورة في القرن الحادي والعشرين هي سلاح هام من أسلحة الحياة الثقافية والسياسية في هذا القرن ولا شك أن الدول- أي دول- تستطيع أن توظف هذه الثورة الإعلامية لخدمة الناس، وأن الكويت بما تملكه من إمكانيات مادية وثقافية وعملية تستطيع أن توظف هذه الثورة العلمية المتمثلة بالحاسوب والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من تلفزيون وإذاعة .. إلخ .

• عرفت الكويت بالتجمعات الأدبية والسياسية منذ نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وما تبعها من حركة القوميين العرب.. هل يرى الأستاذ/ محمد السداح أن هذا المد لا يزال موجوداً عند الإنسان العربي بصفة عامة وعند الإنسان الكويتي بصفة خاصة؟

- نعم عرفت الكويت التجمعات الأدبية والسياسية منذ نهاية القرن التاسع

* تربوي ولغوي من سوريا مقيم في الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 20 6/26/13 9:06:45 AM

عشر وبداية القرن العشرين، وهذه نتيجة طبيعة الكويتيين الذين يتآلفون من مهاجرين أتوا الكويت من دول مجاورة مثل نجد والأحساء، وبعض أجزاء من إيران والبحرين والعراق، ولا شك أن هذه الأجزاء تدور فيها حركة ثقافية، وغالبية هذه المجموعات المهاجرة والتي وصلت الكويت كانت متعلمة.

ثورة الشباب

• كيف ترى الحراك الوطني في الوطن العربي مع ما يسمى بثورات الربيع العربي؟

- الحراك السياسي الحادث في دول الوطن العربي وهو حراك محق نتيجة للوضع العربي العام وللأوضاع العربية الأقليمية، فهذا الحراك طبيعي جداً أن يحدث بهذا الوقت نتيجة للأوضاع السياسية المتردية في أجزاء الوطن العربي، ولعل هذا الحراك في رأيي جزء من ثورة الشباب في العالم، وعندما يستعرض الإنسان الثورات السلمية التي تمت في أوروبا الشرقية في نهاية القرن الماضي نجد أن هذه الثورات هي التي غيرت الأوضاع السياسية من أنظمة سياسية شمولية إلى أنظمة ديمقراطية.. والوطن العربي لا شك أنه جزء من هذا العالم ولا شك أن هناك ارتباطاً بما يحدث في هذه الأجزاء من العالم.

- والحرك الوطني في الوطن العربي كنا ولازلنا نتمنى أن يكون حراكاً سلمياً للعمل على تغيير الأوضاع العربية، ولكن سوء الأنظمة جعلت هذا الحراك مضطرا لأن يتحول في بعض أجزائه وفي بعض فتراته إلى حراك دموي عنيف.

• الكويت وما تملكه من إمكانيات تستطيع أن توظف الثورة العلمية لخدمة شعبها

• الحرك السياسي في الوطن العربي هو حراك محق وطبيعي فرضته الأوضاع المتردية.

• سوء الأنظمة جعلت الحراك السلمي يتحول إلى حراك دموي عنيف.

ثورة القرن الحادي والعشرين

• ورد في كتابكم (الطريق - بعض من ذكرياتي) صفحات من تاريخ الحركة الثقافية في الكويت فكيف يرى الأستاذ/ محمد السداح الكويت في القرن الحادي والعشرين ومع الثورة العلمية والانفتاح الإعلامي على مستوى العالم؟

- لا شك أن هذا السؤال هو امتداد لما قبله، إن الحركة الثقافية في الكويت مستمرة ومتواصلة ولكن الفارق أن الحراك الثقافي في القرن الواحد والعشرين تؤازره وتدعمه وسائل الإعلام المرئية كالحاسوب والإذاعة والتلفزيون والفضائيات إضافة إلى وسائل التواصل الفيس بوك وتويتر وغيرها..

إن هذه الوسائل لا شك أنها ساعدت وتساعد الحركة الثقافية

Bayan July 2013 Inside.indd 21 6/26/13 9:06:48 AM

● وسائل الإعلام و التواصل في القرن الحادي والعشرين ساعدت الحركة الثقافية في الكويت.
● العمل التربوي والدبلوماسي لهما نفس المتطلبات من ثقافة وسعة أفق واستعداد للمناقشة والبحث عن الحقيقة.
● القراءة وسعت مداركي وزادت معارفي وحددت اتجاهاتي وتوجهاتي القومية والوطنية.

في الكويت إضافة إلى ما تتميز به الإصدارات الكتابية في الوقت الحالي من سرعة الإنتاج وغزارة المضمون، وهذه من صفات القرن الحادي والعشرين.

متطلبات العمل التربوي- الدبلوماسي

● عشقك للتعليم والتربية دفعك لإنشاء مدرسة خاصة وعملك في الدبلوماسية ماذا أضاف إليك مع الخبرة التي اكتسبتها من التدريس؟

- إن العمل الدبلوماسي لا شك أنه يعتمد اعتماداً كبيراً جداً على الثقافة، فالدبلوماسي الناجح هو الدبلوماسي المثقف واسع الأفق الذي يستطيع أن يحلل وأن يوسع ثقافته ومداركه من خلال الاتصال مع كافة طبقات ومنظمات المجتمع الذي يعيش فيه.

- من هنا أستطيع أن أقول أن العمل التربوي يتطلب نفس متطلبات العمل الدبلوماسي وهو الثقافة العامة وسعة الأفق والاستعداد للمناقشة والبحث عن الحقيقة، فما دفعني لإنشاء مدرسة خاصة بعد تقاعدي من العمل الدبلوماسي هو خبرتي التي اكتسبتها في كلا الجانبين التربوي والدبلوماسي.

● القراءة في حياة السفير الأستاذ/ محمد السداح .. هل كانت ذات تأثير في مسار حياتك بشكل عام؟

لا شك أن القراءة لها تأثير كبير في مسار حياتي بشكل عام وهي التي حددت اتجاهاتي وحددت توجهي القومي والوطني وهي التي وسعت مداركي وزادت من معارفي في كثير من أفراد المجتمع.

● أستاذ/ محمد: عاصرتَ الكويت بين جيلين فأين تجد نفسك في رحلة العمر الجميلة؟

- لقد عاصرت الكويت في جيلين، جيل ما قبل النفط وجيل ما بعد النفط، وأنا أجد نفسي بين الجيلين، فلاشك أن ثقافة وقيم جيل ما قبل النفط مازالت منغرسة في نفسي وهي في كثير من الأحيان توجه مسار حياتي، أما جيل ما بعد النفط فإنني أعيشه كما يعيشه غيري وأعيش كل إمكانياته التي أتاحها التطور الحضاري العالمي من إذاعة وتلفزيون وصحافة وكتابة وغيرها من وسائل الحياة الترفيهية.

Bayan July 2013 Inside.indd 22 6/26/13 9:06:50 AM

«الطريق - بعض من ذكرياتي» .. لـ: محمد جاسم السداح وثائق تنشر للمرة الأولى *

أصدر السفير السابق محمد جاسم السداح كتاباً يعد توثيقاً لمسيرته التعليمية والدبلوماسية ومشاركته في الحياة العامة سياسياً وثقافياً واجتماعياً.

يقول السفير السداح في المقدمة «أول طريق سلكته كان من البيت إلى المدرسة الأحمدية وأخذني الطريق إلى أحياء الكويت ومدارسها القبلية والشرقية والمباركية والنجاح وصلاح الدين والفارابي» ويقول « ومن مدارس الكويت عبر الرحلة الدبلوماسية إلى المغرب وأسبانيا والأردن حتى عدت إلى نقطة البداية من خلال العمل الحر في مجال التعليم».

المتصفح للكتاب يجد أن منهج السداح كان التأريخ لبعض المواقف في مسيرة الكويت السياسية والدبلوماسية من هذه الرحلة الطويلة التي توزعت بين العمل في المجال التربوي والدبلوماسي والنشاط السياسي من الأندية الثقافية التي كانت محور النشاط السياسي في الكويت في الخمسينات والستينات من القرن الماضي.

العيد الوطني

يبدأ بسرد معلومة ربما لا يعرفها كثيرون وهي العلاقة بين عيد الجلوس ٢٥ فبراير والعيد الوطني ١٩ يونيو مشيراً إلى أن سفير الكويت في القاهرة في ذلك الوقت عبد العزيز حسين طرح على وزارة الخارجية فكرة دمج العيدين من خلال لقاءاته، المتعددة مع الشخصيات السياسية والدبلوماسية في القاهرة، في الفصل الأول تحدث عن مسيرته في وزارة التربية وزياراته إلى مصر ولبنان مع الوفود الرسمية.

النادي لثقافي القومي

الفصل الثاني كان منصباً على الخدمة العامة والعمل القومي من خلال النادي الثقافي القومي الذي قاد الأنشطة السياسية والثقافية في تلك الفترة وقيادة النشاط الشعبي لتأييد مصر في مواجهة العدوان الثلاثي

* نقلاً عن جريدة الراي – العدد (١٢١٢٢- Ao) سبتمبر ، ٢٠١٢م.

Bayan July 2013 Inside.indd 23 6/26/13 9:06:52 AM

عام ١٩٥٦م ودور لجنة الأندية في حشد المواقف الشعبية من مهرجانات وتبرعات ومظاهرات، وكذلك مساندة ثورة الجزائر.

دبلوماسية صباح الأحمد

في هذا الفصل يستعرض السداح تفاصيل رحلته الدبلوماسية ما بين الإدارة لاقتصادية في الخارجية وسفارات الكويت في المغرب وأسبانيا والأردن كما تحدث عن دور الكويت في دعم القضية الفلسطينية وكشف عن أسرار بعض الخلافات السياسية.

وتحدث عن دبلوماسية سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد عندما كان وزيراً للخارجية ودور الكويت في التنمية الثقافية العربية والتعاون العربي الأفريقي والحوار العربي الأوروبي والاتجاه إلى آسيا وبعض المهام الدبلوماسية المستفادة من المسيرة الدبلوماسية.

القطاع الخاص

في محطة أخرى من محطات الطريق تحدث السفير السداح عن تجربة العمل في القطاع الخاص ومن خلال هذه الرحلة تحدث عن المشاكل والعقبات التي تواجه من يريد إقامة مشروع، وتحديداً بلديةٍ الكويت والتي اعتبرها نموذجاً للمشاكل الإدارية في الكويت وطرح ملامح منهج للإصلاح.

العمل الخيري وإشاعة التنوير

تتميز إسهامات السفير السداح في العمل الخيري بالتنوع من حيث المجالات والانتشار الجغرافي ويتحدث عن دعم التعليم وبناء المساجد في مناطق عربية وأوروبية وأسيوية وأفريقية بالإضافة إلى دعم الأنشطة الثقافية والمؤسسات القومية وأهمية تنوع العمل الخيري ما بين الإسلامي والثقافي والقومي والمساهمة في إشاعة التنوير.

حصاد المسيرة

في هذا الفصل يتحدث السداح عن حصاد المسيرة من خلال طرح موضوع العلاقات الإنسانية وموضوع التثمين الذي قام به الشيخ عبد الله السالم بهدف إعادة توزيع ثروة النفط على أهل الكويت وأثر هذا المشروع العملاق في تغيير نمط الحياة وفي شكل الحياة الاجتماعية.

تقارير ووثائق

تضمن الكتاب مجموعة من التقارير والوثائق المهمة تنشر للمرة الأولى منها تقرير حول نشاط الكويت في الجزيرة العربية والثاني مقترح مد أنابيب النفط على الشاطئ الشرقي للخليج لتحاشي المرور في مضيق هرمز، ويشير السفير السداح إلى أن هذه التقارير قدمت من الإدارة الاقتصادية أثناء عمله مديراً لها عام ١٩٧١م.

إمارات الخليج عام ١٩٥٨

يقدم السداح تقريراً مهما لم ينشر قبل ذلك، قدمته بعثة إدارة المعارف التي قامت بزيارة لبعض إمارات ساحل الخليج العربي في ربيع ذلك العام وانطباعات ومشاهدات أعضاء البعثة عن مظهر الحياة

Bayan July 2013 Inside.indd 24 6/26/13 9:06:55 AM

والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والنشاط السكاني في دبي والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة وقطر، التقرير رسمي ويضم معلومات مهمة عن أوضاع الإمارات في تلك الفترة.

● المؤلف بدأ العمل في التعليم عام ١٩٤٩ وانتقل إلى وزارة الخارجية عام ١٩٦١ وتقاعد عام ١٩٨٣ وتنقل بين سفارات الكويت في اسبانيا والأردن والمغرب وشغل منصب مدير الإدارة الاقتصادية ورئيس قسم الشؤون العربية في البدايات.

وضم الكتاب بعض الصور التي تؤرخ لهذه المسيرة

● يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط وهو إصدار مايو ٢٠١٢.

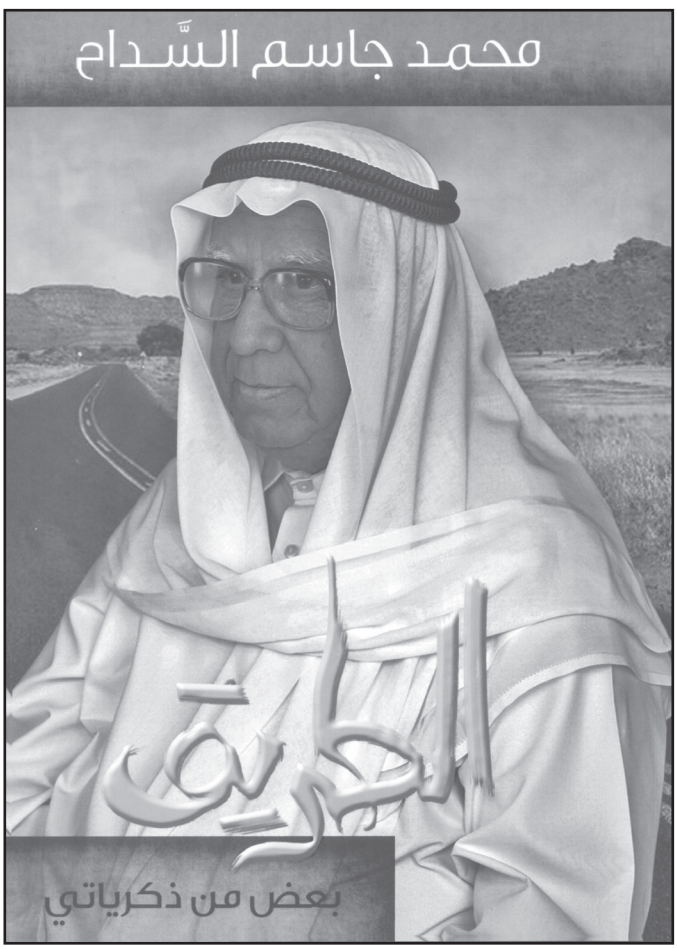

Bayan July 2013 Inside.indd 25 6/26/13 9:06:58 AM

«ذكريات أديب» في رابطة الأدباء الكويتيين
محمد السداح: دور الكويت الريادي تراجع ثقافياً وتعليمياً (1)

لافي الشمري *

استضافت رابطة الأدباء السفير محمد جاسم السداح ضمن محور «ذكريات أديب» أدار الجلسة الكاتب طلال الرميضي، وقدّم فيها قراءة في تقرير البعثة الكويتية الزائرة ١٩٥٨ لإمارات ساحل الخليج العربي، مؤكداً أنه بدأ رحلته مع التعليم من خلال انخراطه في سلك التدريس في مدرسة النجاح عام ١٩٥٢، وبعد ستة أعوام في هذا المجال ترأس بعثة من إدارة معارف الكويت، مكونة من ستة مدرسين، وهم: عبد الوهاب الزواوي وعبد المجيد حمد وعبد العزيز الرشيد وخالد المضف وعبد الله عيسى مطر، كما تضم البعثة ثلاثة وعشرين طالباً لزيارة إمارات الساحل المتصالح- الاسم السابق لدولة الإمارات- مشيراً إلى بعض الملاحظات وفي مقدمتها تركيز النفوذ البريطاني في دبي، محدداً شكل التنظيم الإداري البدائي في هذه المنطقة، كذلك قدّم المحاضر لمحات عن الجمارك والبلدية والجوازات والمعارف، مؤكداً توافر ثلاث مدارس في دبي يصرف عليها حاكم البلاد، مضيفاً: «في ما بعد أرسلت إدارة معارف الكويت الأستاذ زهدي الخطيب ليكون مشرفاً على مدارس دبي، وذلك بناء على طلب من حاكمها لتنظيم الدراسة في هذه المدارس، وجعلها دراسة تسير على الأصول الحديثة للتعليم».

ثم استطرد السداح متحدثاً عن النواحي الصحية وحرف السكان في تلك الفترة، مؤكداً سيطرة رعايا الجاليات الإيرانية والهندية والباكستانية على الحركة التجارية، مسلطاً الضوء على الحياة الاجتماعية بقوله: «المجتمع

---

(1) نقلاً جريدة الراي

* صحافي من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 26 6/26/13 9:07:00 AM

في هذه الإمارة مازال في طور البدائية، فمازالت الروح الفردية قوية واضحة، والمرأة في هذا المجتمع ليس لها أي دور نهائي».

وفي حديث عن إمارة الشارقة قدّم نبذة جغرافية عن هذه الإمارة العربية، ثم انتقل إلى الحديث عن الموارد المالية لإمارة الشارقة، مؤكداً اعتمادها على مبلغ ٧٥٠٠٠ روبية تدفعها بريطانيا ثمن إيجار مطار دبي، وكذلك التجارة المحلية، محدداً شكل المساهمة الكويتية من خلال بعثة مكونة من ناظر وأربعة مدرسين، وكذلك مدرسات وناظرة مدرسة للبنات، وتساهم مصر ببعثة مكونة من خمسة مدرسين، والكويت تساهم كذلك بإرسال الكتب والقرطاسية إلى المدرسين، وعليه فالمنهج مطابق تماماً لمنهج الكويت، مشيراً إلى أنه لا يوجد طبيب في الإمارة كلها، ويعتمد الناس في علاجهم على طبيب دبي الوحيد.

كما قدم قراءة مقتضبة عن إمارة عجمان، مؤكداً أنه لم يكن آنذاك أي وجود للنظام الإداري نهائياً، فنظام الحكم قبلي خالص يحكم الحاكم كما يريد ولا راد لحكمه، فلهذا لا نجد أي إدارات أو مصالح حكومية، مضيفاً: «لم يكن في الإمارة طبيب أو صيدلية نهائياً»، كما قدم لمحة عن إماراتي أم القيوين ورأس الخيمة.

ثم أوجز السداح الدور الذي قامت به البعثة أثناء زيارتها للإمارات في النقاط التالية:

- الدعاية للكويت والتعريف بها بصفة خاصة وللقضية العربية بصفة عامة.
- توطيد الصلات القوية بين أعضاء البعثة وبعض الأهالي في الساحل.
- شرح دور الكويت في المساهمة بالنهوض بهذه الأجزاء من الوطن العربي.
- تحمس أعضاء البعثة للعمل لهذه الأجزاء وتقديم أي خدمة لها مهما كانت بسيطة.

كما تحدث عن المساعدات الشعبية لأبناء الكويت منذ الخمسينيات، مؤكداً تقديم الدعم والمساعدة إلى أبناء الخليج الدارسين في المدارس الكويتية وفي عام ١٩٦٢ تم تأسيس جمعية الجنوب والخليج العربي التي استمر دعمها حتى استقلال الإمارات، وفي عام ١٩٦٢ أنشئت الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي، وكان أول عضو منتدب هو بدر خالد البدر، وعقب ثلاثة أعوام ترأسها أحمد السقاف وقام بنشاط كبير في هذا المجال، وتوسعت في مجال النهضة التعليمية.

Bayan July 2013 Inside.indd 27 6/26/13 9:07:03 AM

محمد السداح
يحب الشعر، يحفظه ولا يكتبه *

حوار أجرته معه الزميلة هالة عمران في صحيفة عالم اليوم **

ولد في فريج «الفلاح» وبالسابعة التحق بالمدرسة الأحمدية، ثم القبلية ثم المدرسة الشرقية وكان من زملائه عبدالعزيز العدساني رئيس ديوان المحاسبة لحالي، وعلى عبد الرحمن العمر رئيس هيئة الزراعة والحيوان ويوسف الرفاعي وغيرهم، عمل مدرساً بمدرسة النجاح وهي مرحلة مهمة بحياته، ثم أصبح وكيلاً بمدرسة صلاح الدين.

يرى أن الدروس الخصوصية نوعاً من الترف للأبناء ومن يلجأ إليها فلدية نقطة ضعف، بعد التقاعد فكر في عمل شيء يفتخر به فأنشأ المدرسة الإنجليزية لتي تجعل الطالب يحصل على تعليم أجنبي متطور مع الاحتفاظ بالعادات والقيم الإسلامية، هو أحد تلاميذ أحمد السقاف أحد رواد نشر التعليم التربوي في بالكويت، ولأنه عضو في حركة القوميين العرب فهو قومي الهوى وعبد الناصر يمثل له قمة العطاء، يحب العمل التطوعي وخاصة المعاقين، مثقف من طراز فريد حرص على القراءة في كل المجالات، الشاعر عبد الله احمد حسين أثر في حياته، يحب الشعر ويجمعه لكن لا يكتبه، حياته تعرضت لنقلة نوعية فبعد العمل بالمجال التربوي انتقل للعمل الدبلوماسي فثقافته كانت من ضمن المعايير التي أهلته للعمل الدبلوماسي، أما الطموح فمازال كبيراً في مساعدة الآخرين كل هذا تتعرفون عليه بشيء من التفصيل في حوارنا مع المربي والدبلوماسي السابق محمد السداح لكن من الوجه الآخر..

● العم محمد السدّاح نود منك نبذة عن نشأتك؟

- ولدت في فريج الفلاح، وبعد مرور شهر من ولادتي حدثت «سنة هدامة» ويعني سقوط مطر غزير متواصل لعدة أيام، وهو أدى لتهدم الكثير من البيوت وكان بيتنا من ضمنهم، ويذكر والدي أن بيت جدي لوالدتي يقع على أرض مرتفعة فحملاني وعمري شهر واحد إلى منطقة فريج سعود

* عن جريدة عالم اليوم - العدد ٧٤٣-٢٠٠٩/٦/٧م.

** صحافية من مصر مقيمة في الكويت

Bayan July 2013 Inside.indd 28 6/26/13 9:07:05 AM

وهي حالياً بالقرب من موقع البنك المركزي ومسجد المديرس وظللنا هناك ، بعدها كونت البلدية عدد من رجالات الكويت وقدروا الأضرار في كل بيت وقدموا المساعدات لإعادة بناء هذه البيوت.

● كيف عشت سنوات دراستك .. وما اهتمامات هذه الفترة؟

- في سن السابعة التحقت بالمدرسة الأحمدية وهي اليوم جزء من الديوان الأميري على ساحل الخليج، ثم انتقلت للمدرسة القبلية، لم يكن الانتقال بمحض إرادتي ولكن بسبب أن الصف الذي كنت سأنتقل له ألغته دائرة المعارف من المدرسة، فقسموا الطلاب إلى مجموعتين، إحداهما إلى المدرسة المباركية والأخرى القبلية التي انتقلت إليها وظللت فيها عاماً واحداً، كانت المدرسة المباركية في وسط المدينة لذا كانت قريبة من كل الأحياء، ورغم بعد المدرسة الشرقية إلا أنني التحقت بها مع بعض الزملاء منهم رئيس ديوان المحاسبة الحالي عبدالعزيز العدساني، علي عبد الرحمن العمر رئيس هيئة الزراعة والثروة الحيوانية السابق، يوسف سيد هاشم الرفاعي وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الأسبق، سعد الناهض وكيل وزارة الصحة ورئيس غرفة التجارة والصناعة الأسبق، برجس البرجس، وبقينا فيها لسنة و احدة أيضاً لصعوبة ذهاب الطلاب لهذه المنطقة، وبعد أن نجح غالبية الصف عدنا إلى المدرسة المباركية وأكملنا الصف الثاني الثانوي الذي لم يكن بعده هيكل من المعلمين والمعدات لتدريس الصف الثالث، فكان الطالب إما أن يكتفي أو أن يكون مقتدراً فيذهب إلى بغداد أو القاهرة أو أن يكون ضمن بعثة إلى الخارج وهم قلة قليلة لا يتعدون أصابع اليدين، بالنسبة ليّ لم أتمكن من إكمال دراستي.

● بدأت حياتك العملية بعملك بمدرسة النجاح كمدرس .. كيف تصف هذه المرحلة؟

- مرحلة مهمة جداً في حياتي قضيت فيها ٨ سنوات ثم انتقلت وكيلاً إلى مدرسة صلاح الدين المتوسطة ومقرها الحالي مؤسسة التأمينات الاجتماعية وتسمى مدرسة صلاح الدين المتوسطة النموذجية، وكل طلبتها باتوا من رجالات الدولة سواء تجاراً أو محامين أو مهندسين أو وزراء، تخرج من تحت يدي الكثير والكثير من أبناء العائلات الكويتية منهم عائلة الشايع والعصيمي، مثل محمد العصيمي وزير الدولة الأسبق لشؤون الخارجية وغيره ممن حمل أمانة الدولة.

●حدثنا عن علاقتك مع المعلمين والطلاب.. وكيف ترى التعليم بين الماضي والحاضر؟

- علاقتي مع طلبتي كانت مميزة، أعتز بها دوماً نتمازح ونقول فلان كان زميلي في مدرسة النجاح ويتعجب المستمعون من كلمة «زميلي» فأوضح

Bayan July 2013 Inside.indd 29 6/26/13 9:07:08 AM

أنني كنت زميلاً لهم في الصفٍ نفسه لكن الفرق أنني كنت واقفاً وهم جالسون، وأعتز بمساهمتي مع غيري في تربية وتخريج أجيال من أبناء الكويت ليساهموا في بناء هذا البلد، واعتبر ذلك بصمة من بصمات الحياة التي تركتها.

- أما التعليم بين الماضي والحاضر فقد اختلف والفارق أنه سابقاً ان يعتمد على المعلم، ويفترض الآن كذلك، لكن بات هناك وسائل إيضاح كثيرة تسهل مأمورية المعلم، عكس الماضي حيث كان المعلم عطاء وإبداع وقدوة للطالب، الفارق الثاني أن الطالب سابقاً كان متشوقاً للتعليم رغم وجود المهملين، لكن الرغبة في التعلم كانت تطغى على كثير من السلبيات فإيجابيات التعليم في تلك الفترة أن المعلم كان واضح الأداء، يعتمد عليه إبداعه واستعداده وتضحيته، أما أولياء الأمور فكانوا في منتهى السعادة عندما يرون ابنهم مستمراً في الدراسة ومتواصلاً في عمله وأدائه لذلك لم يحتج ولي أمرٍ على عقاب ابنه خلال ١٣ عاماً قضيتها في التعليم، لأنهم كانوا حريصين على تعليم أبنائهم، أما اليوم، فالطالب قد يكون عديم الرغبة في التعليم، لذا نرى الإهمال وعدم الانتظام في الدراسة، إضافة إلى أنه في الماضي لم يكن هناك وسائل تعليمية واضحة، بل إن كلمة «وسيلة تعليمية» كانت غريبة علينا، فلم نكن نعلم سوى القلم والسبورة، والكتاب، الآن، العكس فوسائل التعليم كثيرة ومتعددة فقط على الطالب أن يذهب للمدرسة ويجلس على المقعد وينتبه فطالب اليوم يمكنه اعتماد التعليم الذاتي خاصة في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتي تستغرق مراحل كثيرة وإجراءات طويلة، لذلك على المدارس تقع مهمة غرس روح التعليم الذاتي في الطالب كذلك هذا دور المعلمين في الوقت الحالي لأن من لا يستطيع فعل ذلك يعتبر فاشل.

●حدثنا عن بداية دخول التعليم الأجنبي للكويت .. وكيف تقيم المدارس الخاصة بصفتك أحد أصحاب هذه المدارس؟

- بدأ التعليم الأجنبي في الكويت عام ١٩٥٧م بإنشاء المدرسة الانكليزية the English choole وقد أنشأتها الجالية البريطانية في الكويت، عندما اقترحوا إنشاء مدرسة لتعليم أبنائهم، ولازالت موجودة بالسالمية، وهذه النوعية من التعليم مفيدة جداً، وعندما فكرت في صنع شيءً لي بعد التقاعد لأستمر فيه، كان أمامي عدة مجالات منها التجارة، المقاولات،والخدمات الصحية، لم أر سوى مجال التعليم، كان هناك المنهجان العربي والأجنبي، كنت أود تقديم نوع مميز من التعليم يعد نموذجاً أفتخر به، فلم يكن أمامي سوى التعليم الانكليزي لأنه قريب إلى العربي من حيث الانضباط، ووجدته متناسباً مع طريقتنا وقيمنا- إذ صح التعبير - لذا اتخذت شعاراً

Bayan July 2013 Inside.indd 30 6/26/13 9:07:10 AM

للمدرسة «خذوا أفضل ما عندهم وتمسكوا بأفضل ما عندنا» بمعنى أن لديهم من الحضارة أشياء علينا تعلمها كالانضباط واحترام المواعيد واعتبار الكذب جريمة، إضافة إلى ذلك تعلم اللغة العربية والتربية الإسلامية ثم أضافوا القرآن لكريم، وهذا يعني أن الطالب العربي المسلم يحصل على تعليم أجنبي متطور مع معلمين وأجهزة تعليمية وتربوية متطورة وتكنولوجيا تعليمية حديثة ويعيش في بيئة دون الانفصال.

● ما سر رفضك لمقولة المدارس «الأجنبية»؟

- عملت في المغرب ورأيت بها تعليماً وطنياً وآخر أجنبياً فرأس المال والإدارة والمدرسون والمناهج ١٠٠٪ أجنبية والشهادات تعتمد من السفارات الأجنبية وهذا المنهج عن المدارس الأجنبية غير مطبق عندنا بالكويت بل لدينا مدارس عربية ذات مناهج أجنبية، فرأس المال والإدارة غير أجنبية ونحتفل بالمناسبات الوطنية والدينية وندرس اللغة العربية والتربية الإسلامية.

● العم محمد السداح بصفتك أحد تلاميذ الشاعر أحمد السقاف حدثنا عنه وعلاقتك به؟

- أحمد السقاف رائد من رواد التعليم، وعلمني في المدرسة الشرقية الثانوية ليس تعليماً للمادة المقررة فقط وإنما المنهج والتوجه القومي أيضاً، وهو رجل قومي الاتجاه أجله واحترمه وأقدره وأعتبره أستاذي الأول علماً وانتماء، كنت حريص على قراءة مقالاته في مجلة البيان التابعة لرابطة الأدباء، بالإضافة إلى أنه كان أحد المحررين الرئيسيين بمجلة الإيمان بالخمسينيات وهي مجلة قومية التوجه، هو أحد رواد نشر العمل التربوي داخل وخارج الكويت، حيث شغل منصب أميناً عاماً للهيئة العامة للخليج والجنوب العربي والتي تعني بنشر التعليم في منطقة الخليج قبل استقلال دولة الإمارات العربية المتحدة وفي اليمن شماله وجنوبه ولا شك أن له بصمة واضحة في التعليم وعندما كنت مستشاراً لسفارة الكويت في المغرب، كان هو على رأس وفد أدبي زار المغرب منهم عبد الرزاق البصير وخالد سعود الزيد ومحمد أحمد المشاري، وكان حدثاً أدبياً رائعاً زار المغرب الأقصى هو أستاذي.

●أنت قومي الاتجاه .. فماذا تمثل لك القومية؟

- أنا قومي الهوى.. عضو في حركة القوميين العرب سابقاً كان نشاطي واضحاً، وكنت مدير النادي الثقافي القومي ورئيس اللجنة الثقافية، والتحقت بهما لتوجهي القومي.. أما عبد الناصر فيمثل لي قمة العطاء العربي، والكاريزما القيادية، ليس هناك قائد عربي مثل عبدالناصر من حيث الكاريزما، ولا يوجد من تنجذب له الجماهير مثله.

● ما قصتك مع العمل التطوعي؟

- أساعد المحتاجين قدر ما أستطيع،

Bayan July 2013 Inside.indd 31 6/26/13 9:07:13 AM

من خلال الجمعية الكويتية للمعاقين وأطبع كتاب سنوي عن نماذج تغلبت على الإعاقة وقهرتها كذلك تعتبر مدرستي هي أول مدرسة عنيت بالدمج بين المعاق والمجتمع، ونشرنا هذا المبدأ في عهد وزير التربية الراحل أحمد الربعي وأرسلنا عدة وفود والآن تحاول وزارة التربية الدمج بين المعاقين والأسوياء بعد أن كانت تفصل بينهما.

● كيف كونت ثقافتك؟

- اهتم بالثقافة واعتمدت على نفسي، لأنني لم أدرس المرحلة الجامعية، وانخرطت بالحياة العملية مبكراً حين عملت مدرساً وكان عمري ١٦ عاماً لكن اهتم بالقراءة في كل المجالات.

● حدثنا عن قدوتك؟

- من أهلي اتخذت والدي ووالدتي، وفي بداية معرفتي بالحياة اتخذت الأديب الشاعر عبد الله أحمد حسين، كان ناظراً للمدرسة ثم أصبح سفيراً وقد عملت معه وأثر في حياتي وتأثرت به أدباً وشعراً.

● ما علاقتك بالشعر؟

- أحب الشعر وأحفظه وأستمتع به لكن لا أكتبه.

● ما تفاصيل انتقالك من الحياة التربوية إلى الحياة الدبلوماسية؟

- كان الأديب الشاعر عبد الله أحمد حسين مديراً للشؤون المالية والإدارية في وزارة الخارجية التي كانت في أمس الحاجة لمجموعة من الشباب الكويتي لينهض فيها، فرشحني فوافقت وانتقلت للخارجية مع عبد الله حسين حيث عملت رئيساً لقسم الشؤون العربية، بعد ذلك انتقلت معه للمغرب حيث أصبح سفيراً للكويت هناك وعملت كمستشار للسفارة، وبعدها نقل ظليت قائماً بالأعمال بدون سفير لمدة سنتين وثمانية شهور، ذهبت بعدها للأردن كسفير وكان لي نشاط سياسي وثقافي هناك، ثم عدت للكويت وعملت مديراً للإدارة الاقتصادية بالوزارة لثماني سنوات.

● ما شروط الدبلوماسي الناجح؟

- أن يكون مثقفاً معيناً بها مهتماً بالقراءة بكل الدرجات، فالدبلوماسي الذي لا يقرأ «فاشل» فالقراءة والثقافة تعطيه زخماً ثقافية لمعرفة توجه الدولة وللتعرف على المثقفين الذين هم بالأساس قادة الدول، فالمثقفون في أي دولة هم قادة الرأي في الدولة ومعرفة المثقفين تعني معرفة اتجاه السياسة.

● ماذا أضافت لك الدبلوماسية .. وما ذكرياتك عن رحلتك الدبلوماسية؟

- الكثير كزيادة المعرفة و الثقافة، والاطلاع على الشعوب الأخرى، فلم أكتف بالعاصمة المغربية بزيارات كل مقاطعاتها زيارات ثقافية لإلقاء محاضرات أو للمشاركة في ندوات ولعلي من الدبلوماسيين القلائل الذين استضافتهم وسائل الإعلام المغربية «التلفزيون والإذاعة»

Bayan July 2013 Inside.indd 32 6/26/13 9:07:15 AM

فلَم لم أكن مثقفاً ولم أقبل عليّ الإعلاميون لقد كانت ثقافتي من ضمن المعايير اختياري للدخول في السلك الدبلوماسي، أما ذكرياتي الدبلوماسية كثيرة لعل أهمها أنها علمتني كيفية التعامل الدبلوماسي إذا صادفتني مشكلة ما، وذلك بما يرضيني ويرضي الدولة المنتدب منها ولا يضر بالدولة المرسلة لها، فالمشكلات تتطلب موقفاً واضحاً وحازماً بحيث لا أوثر على مصلحة دولتي ولا الدولة المنتدب لديها.

● حدثنا عن زواجك؟

- تزوجت بطريقة تقليدية وكنت موفقاً من كل النواحي فقد تحملتني»أم وائل» وهنأتني كانت تنتقل معي وتتأقلم دون شكوى ومعي أولادي.

● ما الحكمة التي حرصت عليها في حياتك؟

- لا أتردد في عمل الخير مهما عرفت أن الشخص الذي أقدم له الخير لا يستحق، ولي قناعتي في هذا الأمر.

● ماذا عن أولادك وأحفادك؟

- كلهم قريبون مني، وليس منهم دبلوماسيا، ولدي من الأحفاد «١٧» حفيداً أجتمع بهم كل خميس.

● كيف يمر وقتك ..وهل خصصت منه وقتاً لممارسة الهوايات؟

- أحرص على القراءة ما دمت حياً، الآن أنا متقاعد أمر على المدرسة فترة قصيرة، وعند العودة أتفقد الصحافة ثم أخذ «القيلولة» بعدها أذهب للمسجد لصلاة المغرب وأمر على الديوانيات وأسهر طويلاً.

● من الصديق المقرب؟

- عبد الله أحمد حسين رحمه الله، تجمعني به المودة وهو قريب لقلبي.

● ماذا بقي من طموحك؟

- مازال الطموح كبيراً، أكثر من عمل الخير، فقد انشأت في مصر مسجداً وفي أسبانيا مبرة وغيرهم من البلدان منهم مسجدان في إيران أحدهما للسنة والآخر للشيعة وأرسل مساعدات للأردن ولبنان وسوريا.

● تبذل الدولة مجهودات جبارة من أجل التعليم ورغم ذلك تتهمونها بالتقصير في دعم التعليم الخاص.. أليس ذلك بمستغرب؟

- التقصير عمل إداري بمعنى أن الدولة تبذل جهداً وتضع ميزانيات ووزارة التربية في الكويت مميزة، من حيث الإمكانيات المادية وضخماتها لكن مشكلتنا في الكويت إدارية سواء إدارة الدولة ككل أو إدارة الدولة بوزارتها المختلفة فوزارة التربية بإمكانياتها البسيطة الأربعينيات والخمسينيات والستينيات أفضل من اليوم والسبب أن الإدارة سابقاً كانت أقدر وأصلح وأفضل في حل المشاكل فيما اليوم الإدارية ضعيفة متهاونة مترددة تمارس عليها الضغوط وتستجيب لها.

Bayan July 2013 Inside.indd 33 6/26/13 9:07:17 AM

محمد السداح .. ألبوم الصور

مستقبلا حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد في مدرسة الكويت الإنكليزية

مع جلالة الملك خالد آل سعود في إسبانيا

Bayan July 2013 Inside.indd 34 6/26/13 9:07:20 AM

مع المغفور لهما سمو الأمير جابر الأحمد والرئيس جمال عبد الناصر

مع الشهيد فهد الأحمد في مدريد عام ١٩٨٢

Bayan July 2013 Inside.indd 35 6/26/13 9:07:23 AM

مع سفير دولة الكويت في المغرب عبدالله حسين

مع الاتحاد العام لطلبة المغرب في طنجة

Bayan July 2013 Inside.indd 36 6/26/13 9:07:25 AM

دراسات

النص ومقولات التأويل جدل: الكينونة والانفلات

د. عبد القادر عواد

Bayan July 2013 Inside.indd 37 6/26/13 9:07:28 AM

النّص ومقولات التأويل
جدل الكينونة والانفلات

بقلم: د.عبد القادر عواد *

تظلّ العلاقة المعقودة بين النص وتلقّيه ومن ثمَّ إمكانات تأويله، علاقة جدلية تطرح نفسها بقوّة، وذلك من منطلق أنّ عملية الكتابة من حيث هي فعل إبداعي تفترض عمليا وضمنيا فعل القراءة كتلازم أو حوار جدلي بين النص والقارئ وذلك التأرجح القائم بين قصد كليهما على مستوى استراتيجي ، يتلازم من خلاله جدلٌ متواصل بين استراتيجية المبدع/ الناص واستجابة القارئ اللذين يعدّان استراتيجيتين نصيتين (١)، ولعلّ جدارة النص وسرّ قوته تكمنان في قدرته على إغواء هذا القارئ واستهوائه وكذا استدراجه إلى جنبات عالمه، كيما يحقق هويته ويكشف عن خباياه ومخزونه الدلالي بالدرجة الأولى، وكأنّ العمل الذي يتمّ بين الناص وبين متلقي نصه هو عمل تكاملي تفاعلي تعاوني حيث يقوم فيه المؤلف بوضع الكلمات ليأتي القراء بالمعنى، ومن ثمّ تتجلى العلاقة التي تنهض على التفاعل المتبادل (٢)، وهو ما يفرض بالبداهة سلطة القارئ الذي يحاول أن يفهم متاهات المقروء ويفك شفرات الرسالة التي يوجهها مرسلها، فتصير حياة النص وكأنها مرتبطة بوجود هذا القارئ "المؤوّل" الذي لا يكتفي بدور التفاعل فحسب بل بتجديد الصياغة ومطاردة مستمرة وإبداعية للمعاني والمداليل ومن ثمة إعادة التركيب وهو ما يؤكده"رولان بارت" بوصفه تأويل أي نص وفق هذا التصوّر ليس البحث عن إعطاء معنى له، بقدر ما هو إعادة كتابته، إذ كلّ نص في نظره يعتبر بمعنى ما سواء بالقراءة أو الترجمة كتابة ثانية (٣)،ممّا يتيح للذاتين(النص والقارئ) أن تتداخلا وتترابطا، بحيث لم تغتد القراءة اليوم فعلا سلبيا بل تفاعلا خلاقا ومشاركة حقيقية بين النص والقارئ (٤)، فتأتي حينذاك القراءة في ضوء كلّ تجربة تخوضها مع النص كي "تتخلص من عوائدها السابقة، وتتجاوز وعيها الماضوي، تؤسس سلوكا وارتكاسات جديدة، مهدّدة هي بدورها بالتجاوز والثورة عليها، أي بتحطيمها وتدميرها في خضمّ تجربة مستقبلية للتلقي" (٥).

من هذا المبدأ يبدو أنّ موضوع القراءة أو التلقي فضلا عن التأويل من الإشكاليات الأكثر حداثة وجدلا وإثارة، على الرغم من أنّ الموضوع شغل دون استثناء القدامى والمحدثين بمختلف توجهاتهم وطروحهم، فهو موضوع ينهض على جملة من النظريات والمفاهيم والمقولات التي تعمل نظريا ومعرفيا

* أكاديمي من الجزائر.

Bayan July 2013 Inside.indd 38 6/26/13 9:07:32 AM

على صياغة الآليات والانشغالات التي تحكم الصلة بين النص كمنجز إبداعي وقضايا القارئ والتلقي، وذلك لأنّ كلّ نص على اختلاف طبيعته موضوع للتأويل سواء على الحقيقة أو على المجاز(٦)، مما قد يعني بالضرورة أنّ النص باعتباره منتجا "يكون مصيره التأويلي جزءا من آليته التكوينية" (٧).

غير أنه من العناصر الجوهرية التي تستدعي الوقوف عليها كأولويات، ومحاولة تحديد دلالاتها وضبط أطرها لغة واصطلاحا حين التطرق إلى موضوع النص والتلقي والتأويل، بعض المصطلحات التي يثيرها الموضوع والتي ترتبط به جدليا، تستعمل حينا بمعنى واحد أو متقارب وحينا آخر لكل منها مفهومه وحدوده وماهيته مثل: التأويل، التأويلية، الهرمينوطيقا، التفسير وغيرها من المصطلحات التي يختلط بشأنها الأمرُ حين معالجتها، وقد حاولنا في هذا الصّدد الاقتراب منها قصد رفع بعض الغموض والتداخل والالتباس عنها.

التأويل والتفسير

لعلّ التأويل والتفسير من أكثر المصطلحات التي يختلف حولها إلى حدّ ما من حيث المعنى والمفهوم، بل هما مما يثير نوعا من التقارب والتباعد في آن واحد لدى أغلب الدارسين والباحثين، لما يشتملان عليه من خطوط التقاطع والتماثل وكذا خطوط التباين والاستقلالية استعمالا وتعريفا، وهو ما يقتضي منا التعريج على هذه الخصيصة التي تجمعهما وتفصل بينهما.

التأويل لغة واصطلاحا: لعلّ خيرَ ما يمكن الاستشهاد به في هذا السّياق قول العلامة "ابن منظور" دون غيره لكفايته "أوّل الكلام وتأوله وتدبّره وقدّره، وأوّله وتأوله فسّره، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ" (٨)، فظاهر المعنى معجميا للفظ التأويل هو التفسير ليس أكثر بنوع من التدبّر والتقدير، وذلك بنزع الغموض عن الكلمة واستجلاء دلالتها كي يدركها المتلقي بوضوح، وقد جاءت لفظتا كل من التفسيروالتاويل في القرآن الكريم، مع التنويه إلى أن لفظ "التفسير" لم يرد إلا مرة واحدة وذلك في قوله تعالى "ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا" (٩)، بخلاف كلمة "التأويل" التي ذكرت مرارا (حوالي ١٥مرة)، نورد بعضا منها على سبيل الذكر لا الحصر، على نحو قوله عزّ وجلّ «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ويذكر إلا أولو الألباب"(١٠) ، أو في قوله كذلك" يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا" (١١)، وكذا في قوله جل جلاله" ذلك تأويل

Bayan July 2013 Inside.indd 39 6/26/13 9:07:34 AM

من بين أبرز الذين يرون بأنّ مصطلحي التأويل والتفسير بمعنى واحد مشترك، ولا اختلاف بينهما مضمونا أو إجراء، الناقد» جابر عصفور» الذي لا يرى فرقا واضحا بينهما في قوله» وسواء نظرنا إلى التفسير على أنه يرادف التأويل ، أو ميّزنا الأول بالعمومية والثاني بالخصوصية.

ما لم تستطع عليه صبرا"(١٢).

فالسّياقات القرآنية التي تضمنت مفردة التأويل متعدّدة ومختلفة المواضع وأيضا مختلفة الدلالات والإحالات حسب غرض كل سياق وكل آية.

بينما المعنى الاصطلاحي لكليهما فنجده في أغلب أحواله لا يرى فصلا بينهما إلا قليلا، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال تعريف أحد الدارسين المعاصرين في قوله" التأويل interprétation هو تفسيرما في نص من غموض بحيث يبدو واضحا جليا ذا دلالة يدركها الناس"(١٣)، ويعني أيضا في سياق التعريف ذاته" إعطاء معنى أو دلالة لحدث أو قول لا تبدو فيه الدلالة لأوّل وهلة"(١٤)، كما نلفيه في موضع آخر بمعنى الخروج عن الدلالة الظاهرية إلى الدلالة الاحتمالية، ويكون ذلك ب"صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة"(١٥)، أو ما يمكن أن يدلّ عليه في سياق آخر بانصراف اللفظ أو الكلام في معناه الحقيقي إلى الدلالة المجازية، وذلك في قول أحد العلماء العرب (ابن رشد) حين يقصد به" إخراج اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ومن غير أن يخلّ ذلك بعادة لسان العرب"(١٦)، وكأنّ الذي يروم تأويل النص، تكون ضالته الرئيسة من خلال ذلك مطاردة دلالة المحتمل والممكن حيث تتفرّع وتتعدّد معاني أخرى باطنية ومفتوحة إذ ينتقل" مؤوّلو النص من البحث عن الحقيقة وعن المعنى القار الوحيد إلى البحث عن المحتمل والممكن، وعن المعاني المتعددة التي هي إنتاج سيرورة دلالية غير منتهية أسهمت في إيجادها ذات قارئة منتجة ومن إثبات وحدة النص إلى تقرير أنه مجال لتلاقي النصوص والمعاني"(١٧).

بيد أنّ هذه التحديدات ضمن هذا المستوى من الكشف المعجمي والمصطلحي، قد لا يفي المراد حاجته بالنظر إلى ورود عنصر الالتباس والتداخل بين المصطلحين المذكورين آنفا وهما التأويل والتفسير، وهو ما يسوقنا إلى محاولة بسط أهم التعاريف التي سعت إلى تأطير كلّ منهما والأقوال التي احتضنت أوجه الاختلاف والائتلاف بينهما، وما موقع النص بين كليهما، أي بصيغة أخرى متى يمكن أن يقال عن النص إنه مفسَّر أو انه مؤوّل؟

في حين نلفي من بين أبرز الذين يرون بأنّ مصطلحي التأويل والتفسير بمعنى واحد مشترك، ولا اختلاف بينهما مضمونا أو إجراء،

Bayan July 2013 Inside.indd 40 6/26/13 9:07:38 AM

الناقد" جابر عصفور" الذي لا يرى فرقا واضحا بينهما في قوله" وسواء نظرنا إلى التفسير على أنه يرادف التأويل ، أو ميّزنا الأول بالعمومية والثاني بالخصوصية، فالعملية التي ينطوي عليها كل منهما في العموم والخصوص، قرينة العملية التي تتضمنها القراءة، ولعلّ الأدق أن نقول إن هذه هي تلك في الوقت نفسه، بمعنى أن كل قراءة هي عملية تفسير أو تأويله، وكل عملية تفسير أو تأويل...فكلتاهما عملية أداء المعنى أو إنتاج له ، شرط أن نفهم أداء المعنى أو إنتاجه بوصفه محصّلة لفهم المقروء"(١٨)، وكذلك حين يؤكد في محلّ آخر من الدراسة عينها" معنى القراءة بوجه عام لا ينفصل عن التفسير ولا يبتعد عن التأويل"(١٩)، وهو الأمر ذاته نلفيه لدى باحث آخر الذي يجمع بين المصطلحين دون أي تمييز بينهما في حديثه عن قضايا النص القرآني بخاصة في قوله" لم تخلُ كتب التفسير بالمأثور من بعض الاجتهادات التأويلية حتى عند المفسّرين القدماء، الذين عاصروا في بواكير حياتهم نزول النص، كابن العباس مثلا، ومن جانب آخر لم تتجاهل كتب التفسير بالرأي والتأويل الحقائق التاريخية واللغوية المتصلة بالنص"(٢٠)، بل إن ما يذهب إليه في هذا الصدد يبدو أكثر بروزا وأكثر تفصيلا حين يقول بوضوح ومن غير لبس"..من هذه الأفكار الشائعة المستقرّة التي يمكن أن نعيد طرحَها فكرة التفرقة بين التفسير والتأويل، وهي تفرقة تعلي من شأن التفسير وتغضّ من قيمة التأويل، على أساس من موضوعية الأول وذاتية الثاني، ولعل في ذلك كله ما يسمح لنا أن نتجاوز التفرقة الاصطلاحية المتأخرة بين التفسير والتأويل، ونعود إلى الأصل وهو التوحيد بينهما"(٢١)، أو على الأقل اعتبار أحدهما جزءا من الآخر.

أمّا فيما يخصّ عناصر الاختلاف والتمايز بينهما، قد نلفي عددا أكبر من النقاد والباحثين والدارسين ممن أسهموا في هذا الشأن، مؤثرين جانب الفصل والتمييز بينهما على أنهما فعلان غير متشابهين في مساءلة النص والغوص في خزانه الدلالي وكأنّ التفسيرمن هذا المنطلق" عتبة للممارسة التأويلية، فهو جزء من عملية التأويل ، العلاقة بينهما علاقة النقل بالاجتهاد"(٢٢)، أو كما يتصوّر أحد علماء العرب الذي يحاول أن يورد الفرق بوجه أصولي (فقهي) في قوله"التأويل مشتق من الأول وهو لغة الرجوع، وأما عند الأصوليين فقيل هو مرادف التفسير، وقيل هو الظن بالمراد والتفسير القطع به، فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني لخبرالواحد يسمّى مؤولا، وإذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمّى مفسرا، وقيل هو أخصّ من التفسير"(٢٣)، مما قد يعني بأنّ الباعث هنا على الفصل بينهما هو عامل الظن والقطع اللذين يمنحان لكل منهما خصائصه، فيغدو على هذا الأساس التأويل مثلا أخصّ من التفسير،أي أنّ الأول منهما مرتبط بفئة الخواص على خلاف الثاني الذي يكون في متناول بقية العوام كما يذهب إلى ذلك أحد المتصوّفة القدامى في حديثه عن

Bayan July 2013 Inside.indd 41 6/26/13 9:07:41 AM

فيما يخصّ عناصر الاختلاف والتمايز بينهما، قد نلفي عددا أكبر من النقاد والباحثين والدارسين ممن أسهموا في هذا الشأن، مؤثرين جانب الفصل والتمييز بينهما على أنهما فعلان غير متشابهين في مساءلة النص والغوص في خزانه الدلالي.

فهم النص وشرحه" التأويل للخواص وتفسير التنزيل للعوام"(٢٤)، ولهذا هناك من يربط في التأويل والتفسير بين المستوى الظاهري والمستوى الباطني لمعاني الألفاظ، أي ما قد يفهم من خلال سطح النص وعمقه، داخله وخلفه، وبذلك يكون التفسير في نظر أحد النقاد ضربا من" الأخذ بالظاهر، يتماشى المفسر مع أقرب ما يتبادر إلى الذهن من العبارات، فهو يأخذ ما نسميه السطح الظاهر من الأشياء، أما في حالة التأويل، فالمؤول يبحث في شيء آخر وراء هذا الظاهر، وهو لا يكتفي بالمعنى السطحي المباشر، بل يرى أن المعنى السطحي على خلاف ذلك لا يكفي ولا بد من الرجوع إلى مصدر آخر"(٢٥)، وهو الأمر الذي يتفق فيه مع غيره في اعتبار الدلالة الحقيقية في النص هي تلك التي تحدد بأنها" ما لم يقل، أو ما قيل بشكل غامض، وينبغي فهمه فيما وراء أو تحت سطح النص"(٢٦).

كما نلفي غير هؤلاء من الذين فضّلوا الفصل بين المصطلحين من زوايا متعددة وبمبررات مختلفة على نحو أحد النقاد المعاصرين الذي ذهب إلى أن المرحلة الأولى من قراءة أي نص هي مرحلة التفسير ولها جناحان" الأول"لساني" يقوم على الخطأ والصواب في معرفة معاني الكلمات، والثاني"تاريخي" يجعل المعرفة الصحيحة مرهونة بمعرفة السياق التاريخي الخاص، وثالث هذه الشروط يقتضي أن تسبق مرحلة التفسير مرحلة التأويل،وهي المرحلة التي يدخل فيها القارئ ونصه في حالة حوار، وكل فهم عميق هو التقاء بين خطابين؛ خطاب الذات القارئة المضمرة، وخطاب الموضوع المقروء أي خوار بينهما"(٢٧).

يبدو أنّ جانب التفريق بين المصطلحين يكاد يحتلّ حيزا أوسع وينال اهتماما أشمل لدى القدامى والمحدثين على حد السواء، ولعل ما يدعم هذا الرأي أكثر هو ما يمكن أن نلفيه من تعارف وأقوال عنهما(التفسير والتأويل) لدن القدامى إذ يجنح اغلبهم لاعتناق الاختلاف بينهما مثلما يذهب أحدهم قائلا" إن التفسير معناه الكشف والبيان... أما التأويل فيختلط فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصّل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستنباط المعاني في كل ذلك"(٢٨)، أو كما جاء في موضع آخر" التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطرق الإشارة"(٢٩)،

Bayan July 2013 Inside.indd 42 6/26/13 9:07:44 AM

ويعضده في هذا الشأن ذاته آخر دون أن يحيد عن الخط المرسوم حين نلفيه ينظر إليهما على أنهما بمعنى واحد وأنهما متغايران" قيل التفسير والتأويل بمعنى واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تغايرهما"(٣٠)، وأن الفرق بينهما مثل الفرق بين المنقول والمستنبط، ليحمل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط(٣١).

ولعلّ لفرط ما بعثه المصطلحان من اختلاف وجهات النظر والتباس المعنى بينهما، كان سببا في وضع بعض المجتهدين تحديدات دلالية خاصّة تستوقف القارئ وتلفت النظر، منها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء على لسان أحد النقاد المعاصرين على نحو قوله" في كلمة التأويل وكلمة التفسير معنى الحركة، معنى الذهاب والعودة، وكلمة التفسير في مغزاها الروحي، منوطة بكشف السر وتنظيم الحركة، والسعي المنظم ورسم الأفق وكسب الخبرة واتقاء الزلل"(٣٢)، بل هناك ممن ذهب نحو وضع ما يشبه جدولا تفصيليا يحدد من خلاله الفروق الجوهرية التي يمكن أن توجد بين كلّ من التفسير والتأويل، يحسن بنا إيرادها بنوع من الاختصار وعلى شكل أفكار موجزة على النحو التالي:

- التفسير تعامل مع المحدّد، والمحّدد أثر أي مادة أو أنه تداول المحدد، أما التأويل فهو تعامل مع غير المحّدد، أي أن التفسير يقوم على ربط الدال بمدلوله المحدد، الذي يستند إلى العلامة اللغوية المتشكلة من اتحاد لا ينفصم بين دال ومدلول محدودين.

- التفسير فعل يصوغ أسئلته وجوديا ومعرفيا من الماضي وهو من ينطلق من النص في لغته وما تحمله من اللغة إلى العالم، أما التأويل فهو فعل يتحقق في الحاضر وينطلق من العالم إلى اللغة وما يمليه عليه هذا العالم من آليات فهم وقراءة وتلق، وينطلق أيضا من النص في دلالته التي تشكله تاريخانيته أي زمانه ومكانه وظرفه وقصده(٣٣).

تأسيسا على ما سبق لا يبدو أن الالتباس والتداخل سمة المصطلحين السابقين فحسب، بل إن الأمر يعدو ذلك لينسحب على مصطلحات أخرى من الحقل ذاته، مما يضفي على الموضوع ومفاهيمه نوعا من التحفظ والحذر ووجوب الوقوف عليها للإبانة عن ماهيتها وضبط إشكالاتها، وهو ما يحدو بنا إلى محاولة إضاءة مصطلح متفرع آخرأفرزه موضوع القراءة والتأويل ألا وهو «الهرمينوطيقا".

التأويل والهرمينوطيقا

تطلق في إطار ثقافة التأويل وترجمة نظرياته بمختلف مرجعياتها، مجموعة من المصطلحات المتقاربة التي قد تؤدي معنى واحد حينا وقد تتداخل وينماز بعضها عن بعض حينا آخر، كمصطلح «الهرمينوطيقا"- ويسمّى عادة بالتأويلية - (herméneutique، hermeneutics) الذي يترجم في العادة ب"فن التأويل" و"نظرية التأويل" ، أي فن تأويل وتفسير

Bayan July 2013 Inside.indd 43 6/26/13 9:07:46 AM

يعتبر الفيلسوف الفرنسي«بول ريكور» ثاني أهمّ محطة بعد «غادامير» في مشروع الهرمينوطيقا المعاصرة أو الهرمينوطيقا الفلسفية، وقد اتسم مشروعه التأويلي على وجه خاص باستثماره مختلف الاتجاهات والنظريات المعرفية والثقافية الحديثة.

النصوص بتبيان بنيتها الداخلية والوصفية ووظيفتها المعيارية والمعرفية، والبحث عن الحقائق المضمرة في النصوص(٣٤)، كما يترجم في موضع آخر بعلم التفسير أو فنّه(٣٥)، أو مثل الترجمة التي يفضّلها أحد الباحثين البارزين حين يطلق على «الهرمينوطيقا" علم تفسير النصوص أو نظرية التفسير(٣٦)، مع أنه لم يكتف بتوضيح الفرق فقط بل آثر أن يسوق في هذا الصدد ما يميز بين الهرمينوطيقا والتفسير، باعتبار الأول نظريا مجردا والثاني تطبيقيا إجرائيا، غير أن الهرمينوطيقا في نظره أوسع مفهوما وأشمل تطبيقا من التفسير بحيث تخطى إطار تفسير النصوص الدينية إلى مجالات أخرى،أعمّ" وقد اتسع مفهوم مصطلح الهرمينوطيقا في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال اللاهوت إلى دوائر أكثر أساسا، تشمل كافة العلوم الإنسانية"(٣٧).

ونلفي أيضا من يترجم المصطلح ب «الهرمونتيك" أو"الهرمونيتيكية" ويُعنى به «حديثا نظرية تأويل رموز لغة أدبية بوصفها كلا لعناصر ثقافية ما"(٣٨)، أو ذلك الذي يبحث في « التأويل الذي يطبع مشاكل ومناهج الدرس الأدبي في علاقته الوثيقة بنقد النصوص، وقراءتها وفهمها في مرحلة أولى وتجاوز مجرد نقد النصوص وتأويلها إلى تكوين نظرية عامة للإنتاج"(٣٩).

هكذا يبدو أن تعدّد المصطلحات لمفهوم واحد يثير الكثير من الحيرة والتساؤل إزاء ما يتعلق بتأويل النصوص وتلقيها، بخاصة وأنّ الهرمينوطيقا قد اغتدت اتجاها تأويليا يُعدّ بمثابة البديل النظري والمنهجي في تجاوز معضلة تفسير النص (٤٠)، فضلا عن أنّ لفظة الهرمينوطيقا صارت تطلق على مختلف التوجهات التي يمارسها بعض الفلاسفة والمفكرين الذين أصبحوا يمنحون عناية خاصة بمشكلات التأويل والتفسير والفهم (٤١).

أمّا فيما يخص المصطلح اشتقاقا وأصولا ومعجما، فإنّ أغلب الذين تناولوه بالدراسة والتحليل والبحث في حقيقة دلالاته ومصادره، يكادون يجمعون على أنه مصطلح ذو أصول يونانية، لا يخرج عن مشتقات المصدر الأول"herménia" الذي يدلّ حسب أحد دارسي الغرب على التأويل(٤٢)، أو تمّ اشتقاقه من لفظة «herméno" (هرمينيو) والتي تعني الترجمة والتفسيروالتعبير(٤٣)،كما ينضاف إلى هذين الأصلين مصادر أخرى تتشابه صيغتها اللفظية مثل herméneutés و herméneutikos و herméneuticos وherméneuein،

Bayan July 2013 Inside.indd 44 6/26/13 9:07:48 AM

غير أن اللافت للنظر في منظور أحد الدارسين هو ما أصاب المصطلح من تغير وتحوّل بعد انتقاله إلى اللغة اللاتينية حين حدث نوع من الانزياح الدلالي، إذ ترجم ب" interpréta"، فاغتدى بذلك الهرمينوطيقا هو التأويل أي، interprétation، بمعنى تداخل المصطلحين مع لفظة" التفسير"(l'éxégèse)، علما بأن المعنى الحقيقي للأصل (herméneuein) ومشتقاته ليس هو التفسير بقدر ما يدلّ على فعل التعبير(l'expression) (٤٤).

ولعلّ استخدام المصطلح في الثقافة الإنسانية، قد اقترن منذ العهد الإغريقي بتفسير النصوص الأدبية وفهمها لا سيما تفسير النص الهوميري (نسبة إلى هوميروس)- والذي يعتبر بمثابة الإنجيل- في الفترة الأولى، ليعني فيما بعد" مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني(الكتاب المقدّس)"(٤٥)، مما يجعل المفهوم يأخذ طابعا متخصصا في انتقاله عبر الزمن من تأويل كل أنواع النصوص(الفنية والأدبية والحكايات الأسطورية...) إلى الاهتمام على وجه أخص بالأصول الفلسفية والدينية لا سيما تأويل النصوص المقدسة(٤٦)، ويزعم أن أمر التأويل في التراث الإغريقي مردّه في أصوله إلى «هرمس""hermès"وهو رسول الآلهة إلى البشر(٤٧)، فهو ميثولوجيا يقوم بدور الوسيط والترجمة والتفسير(interprète) بحيث كان «جسرا يفسر ويشرح رسالات الآلهة، وذلك بتحوير ماهيتها ومضامينها(التي كانت فوق مستوى الفهم البشري)، من أجل تفهيمها للناس وجعلها ممكنة الإدراك من قبلهم"(٤٨)، كما انه يعتبر إله الفصاحة والحكايات ورسول الأحلام والرّؤى ، وهو ثمرة زواج بين الإله"زيوس" و"الإلهة" «مايا"،يمنح حمايته للمسافرين والتّجار والرعاة وقطعانهم(٤٩).

غيرأنّ الملاحظ بوضوح هو ذلك التطوّر المنهجي الشامل الذي شهدته نظرية التأويل(التأويلية) في القرن التاسع عشر(٥٠)، حيث فرضت التغيّرات التي صاحبت عصر النهضة ابتداء من القرن١٧(١٦٥٤)، حدوث الانفصال عن مجال فهم وتفسير النصوص المقدسة (الدينية) لتصبح الهرمينوطيقا(التأويلية) علما مستقلا بذاته، علما يهتمّ بفن فهم النصوص(٥١)، ومن ثمّ تهيّأ لهذا الاتجاه أن يتّسع بشكل جليّ خلال هذا القرن التاسع عشر(١٩) ليشمل قضايا التأويل النصي برمّتها(٥٢).

الهرمينوطيقا نظرية للنص والفهم

انطلاقا من المسار التطوري المكثف والمتسارع للتأويلية أو الهرمينوطيقا في فترات القرن العشرين ، وبحكم اختلاطها بالتيارات والمعارف الفلسفية المعاصرة، لاسيما حينما تشكلت صورتها وصياغاتها من خلال المشروع الفلسفي في دراسة النصوص ومقاربتها تفسيراً وفهما، وقد كان ذلك على يد كوكبة من المنظرين والفلاسفة الذين أثروا الدرس التأويلي بالأفكار والنظريات التي أسهمت في

Bayan July 2013 Inside.indd 45 6/26/13 9:07:51 AM

تأسيس التأويلية كنظرية شاملة للفهم والقراءة أمثال"فريديريك شلا ير ما خلر " " Friedrich Schleiermacher" (١٧٦٨-١٨٣٤)، والألماني" ويلهام دلتاي" "Wilhelm Dilthey" (١٨٣٣-١٩١١)، والفيلسوف الألماني" مارتن هايدجر" "Martin Heidegger" (١٨٨٩- ١٩٧٦)، و"هانز جورج غادامير" " Hans Georg Gadamer" (١٩٠٠- ٢٠٠٢)، و"اديموند هوسيرل" "Edmund Husserl" (١٨٥٩-١٩٣٨)، والروماني" رومان انغاردن" " R.Ingardin" (١٨٩٣-١٩٦٠)، والفرنسي" بول ريكور"" P.Ricoeur " (١٩١٣- ٢٠٠٥)، وكذا الايطالي" أمبرتو إيكو" " Emberto Eco" (١٩٣٢-...)، وآخرين على نحو الفرنسيين «رولان بارت" " Roland Barthes" (١٩١٥- ١٩٨٠) ، و"جاك دريدا" « Jaques Derrida"(١٩٣٠-٢٠٠٤)، وغيرهم من المفكرين والنقاد والمنظرين الذين تركوا بصماتهم البارزة في تشييد التجربة التأويلية ورسم أنطولوجيا متباينة للنص.

لقد كان للفلاسفة الألمان والذين ذكر بعضهم بخاصة منهم أصحاب فلسفة الظواهرأو الظاهراتية أو الفينومينولوجيا (Phénoménologie) - مشكلة التأويلية الفلسفية-، الأثر البالغ والدور الفعال في" مؤسسي نظرية التلقي مثل ياوس وايزر وغيرهما كما أثروا في فلاسفة فرنسيين آخرين مثل بول ريكور، وتيار فلسفة الظواهر هذا ينادي بقطع الصلة مع التفسير القديم وفقه اللغة التقليدي، ويدعو إلى إفساح المجال للذات القارئة التي تعتمد على حواسّها للانطلاق من ظاهر النص إلى اكتشاف دلالة دينامية عميقة"(٥٣)، وعليه فإنّ فلسفة الظواهر أسهمت بقوة في اتساع مدلول التأويل ونظريته بحيث أصبح مجالا معرفيا يصل بين عدة علوم متعدّدة، تتلاشى فيما بينها حول مشكلة التفسير من منظور العلاقة التأويلية بين النص ومن يقوم بتفسيره والأنظمة التي تقوم عليها عملية التفسير(٥٤)، ولعلّ الفيلسوف" شلايرماخر" يعدّ أول من عمل على توسيع دلالة" الهرمينوطيقا" إذ جعل منها نظرية عامة في فنّ الفهم، ذات فتعلية في العمل الخاص المتعلق بتفسير الكتاب المقدّس(٥٥).

وبهذا كان إسهامه بمثابة لبنة أولى في تأسيس الهرمينوطيقا، من حيث كونه يعتبر صاحب الفضل البارز في التمييز بين التأويلية والتأويل، فيبعد التأويلية عن النص الديني ويقصرها على النصوص الدنيوية(الناسوتية)، فضلا عن أنه يقوم بالتمييز بين أسلوبين في المقاربة التأويلية أحدهما يمثله أسلوب لغوي والذي يعالج النص انطلاقا من لغته الخاصة(لغة إقليمية، تركيب نحوي، شكل أدبي)، وتحديد الكلمات من خلال الجمل التي تركبها ودلالة هذه الجمل، أما ثانيها فينهض على أسلوب التأويل النفسي والذي يعتمد على بيوغرافيا المؤلف، حياته الفكرية

Bayan July 2013 Inside.indd 46 6/26/13 9:07:53 AM

والعامة والدوافع والحوافز التي دفعته إلى التعبير والكتابة، إذ يموقع الأثر(النص) في سياق حياة المؤلف وفي السياق التاريخي الذي ينتمي إليه(٥٦).

ويستمرّ مسار التأويل والتأويلية في حركة تصاعدية أكثر منهجية ووعيا فلسفيا بعد كل من شلايرماخر ودلتاي وهيدجر، حيث هيمن ما يسمّى بالتأويلية الكلاسيكية والرومانسية، ليأخذ منعطفا حاسما وتاريخيا مع الفيلسوف المنظر(هانس جورج غادامير) والذي حاول أن يعيد صياغة وقراءة نصوص أستاذه"مارتن هيدجر" الفلسفية تقريبا، لاسيما وأنه تأثر به بعمق ، بحيث إنه" يمكن القول بأن فلسفته قد اتّسمت بطابع فينومينولوجي على طريقة هيدجر، كما تشكّل عقله بعمق من خلال محاضرات هيدجر في أوائل العشرينيات وظلّ منذ ذلك الحين مولعا بهيدجر"(٥٧)، فكانت من هذا المنطلق ولادة الخطوط الكبرى لديه لفن التأويل ضمن مشروع فلسفي أنطولوجي(وجودي) عام، والذي تناول من خلاله «تفاعل المستويات الكبرى للتجربة التأويلية والمتمثلة في اللغة وعلاقتها بفاعلية الحوار ضمن نسيج لغوي حيّ، والتاريخ كبعد أساسي من أبعاد"الوعي التاريخي" و"الجمالي" كلحظة تأويلية وتجربة أنطولوجية، تتجلى فيها فاعلية الفهم وفهم القصد المباشر للمؤلف في علاقة حوارية"(٥٨).

لقد كان مشروعه الفلسفي محضنا استراتيجيا لنظرية التأويل، إذ احتلّ الاهتمام بقضايا التأويل لديه مساحةمعرفيةواسعة(٥٩)،كمانالت مقولة الفهم(Compréhension) عناية خاصة في أدبيات التأويل ومفاهيمه لديه، لا سيما من خلال كتابه الشهير" الحقيقة والمنهج" الذي حاول عبره أن يطرح نظرية الفهم طرحا منهجيا تأصيليا، تنهض عليها فلسفة التأويل وآفاقه، بل لقد ذهب غادامير بعيد حينما اعتبر معضلة الفهم معضلة وجودية وكأنه يستلهم تصوّرات أستاذه" هيدجر" عن الفهم الذي يعدّ فهم أي عمل فني أو أدبي"مهمة وجودية تثري الوجود الإنساني في العالم وفهم الإنسان لهذا الوجود، وغن النص الأدبي- والعمل الفني عامة- لا يفصح عن رؤية المبدع لواقع محدد في لحظة تاريخية محددة تتجاوز- في الفن العظيم- إطار الخاص إلى العام، ولكنه يفصح عن الوجود بمعناه الفلسفي(٦٠).

ركّزت تأويلية غادامير على التمييز بين نمطين من الفهم أحدهما فهم جوهري وهو فهم مضمون الحقيقة التي تتكشف بقراءة النصوص وتفسيرها، وثانيهما فهم قصدي وهو يخصّ فهم مقاصد المؤلف/ المبدع وأهدافه، ويتم ذلك بانعكاس التجربة على الذات في عملية حوارية مع الذوات الأخرى، فالحوار هو كلّ حوار حقيقي يستلزم الميل بالإنصات إلى الآخر ويمنح رأيه اهتماما خاصا بالولوج إلى فكره ليتم فهم ما يقوله الفرد ويعبّر عنه وليس هو عينه، مما قد يعني أن طبيعة التأويل في مفهومه عبارة

Bayan July 2013 Inside.indd 47 6/26/13 9:07:55 AM

عن مشاركة وجودية جدلية بين المتلقي الذي يؤوّل والنص المؤوّل، ليمنح مركّبا تفاعليا يجمع بين التجربة الوجودية والحقيقة التي يجسّدها ذلك النص، قد يكون ذلك بمثابة إعادة اكتشاف الأنا والأنت والشعور بانعكاس تجربة الآخر فينا، إذ عملية الفهم الأساسية في نظر غادامير التي" تتوقف بناء عليها معرفتنا كلها للذوات هي إسقاط حياتنا الباطنية الخاصة بنا على موضوعات حولنا لكي نشعر بانعكاس التجربة فينا"(٦١).

يعتبر الفيلسوف الفرنسي"بول ريكور" ثاني أهمّ محطة بعد «غادامير" في مشروع الهرمينوطيقا المعاصرة أو الهرمينوطيقا الفلسفية، وقد اتسم مشروعه التأويلي على وجه خاص باستثماره مختلف الاتجاهات والنظريات المعرفية والثقافية الحديثة مثل البنيوية والوجودية والماركسية ونظرية الثقافة والتفكيك والتحليل اللغوي ونظريات اللغة وأنثربولوجيا الدين(٦٢)، فضلا عن أنه انتهج نهجا فينومينولوجيا متأثرا بالدرجة الأولى بالفينومينولوجية الهوسيرلية ووجودية هيدجر، فلم يتخلّ عمّا قصد إليه هوسيرل وهيدجر(٦٣)، منطلقا من ماهية الدلالة الأنطولوجية لمفهوم الفهم لدى هيدجر ، ساعيا بكل طموح نحو تشييد التأويل داخل الفينومينولوجيا وبلورة انطولوجيا للفهم عبر ابستيمولوجيا خاصة بهذا التأويل(٦٤).

قد تجلىّ تأثر"ريكور" كثيرا في فلسفته التأويلية بأستاذه الوجودي المسيحي"غابريال مارسال" (Gabriel Marcel) (١٨٨٩- ١٩٧٣) الذي قام بترجمة أعمال الملهم «هوسيرل"، كما مثلت أهمّ أول أعمال «ريكور" دراسات عن المشروع الفلسفي لكل من هوسيرل وهيدجروكارل ياسبيرس (Karl Jaspers) (١٨٨٣- ١٩٦٩)، وكذا غابريال مارسل (٦٥)، وإننا نلفيه يؤكّد استناده إلى منهج بعض أساتذنه المذكورين قائلا" كنت استند بثقلي إلى المنهج التأويلي الذي به هوسيرل والثنائي الوجودي ياسبرز ومارسيل، وربما أطلقت الآن على هذا النوع من الوصف الظاهراتية الوجودية، برغم أنني لم أجرؤ في حينها على تسميتها بالظاهراتية، لأنني لم أرغب أن تحتمي محاولتي بشرعية هوسرل الذي كنت أترجمه إلى الفرنسية"(٦٦).

كما أن نظرية التأويلية القائمة على الفينومينولوجيا، استمدّت أيضا أسسَها من الفيلولوجيا، فاغتدت تأويلية فيلولوجية، انطلق فيها من كون الحدث اللغوي يتجلى في الجملة التي ليست مجموع كلماتها بل هي كينونة منفردة بذاتها، ولهذا قام بتقسيم العلامات في النص قسمين أحدهما خاص بالعلامات الأوّل التي هي نافذة على العالم، أما ثانيهما فيتعلق بالعلامات الثواني وهي حقيقة زائفة ينبغي الكشف عن خلقها وذلك لكونها لا تشفّ عن المعنى بل تخفيه لأنه المعنى الباطني الذي يجب إليه من خلال العلامات الأوّل ، وهذا كله له صلة بالمهمة

Bayan July 2013 Inside.indd 48 6/26/13 9:07:58 AM

الهرمينوطيقية التي ترتبط جوهريا بمفهوم عالم النص (٦٧)، ويمكن الإشارة كذلك إلى أنّ فلسفة ريكور التأويلية قد تشكّلت في أحد جوانبها على ركيزتين مهمتين أخريين تتمثل إحداهما في أثر الرافد الفرويدي والتحليل النفسي على منهجه التحليلي من خلال استثمار منهج فرويد الخاص بالتداعيات الحرة في إعادة استكشاف جغرافيا النفس البشرية لأجل إظهار بنيتها الرسوبية وتحديد تخومها ومعالمها الأولية وربط ذلك بمباحث التأويل من حيث الإبانة عن معنى الفهم وأسسه وتجلياته، والتساؤل حول حقيقة هذا الفهم إن كان عملية استبطانية ذاتية أو عملية مركّبة يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي والشعوري باللاشعوري والقصدي بغير القصدي(٦٨)، وأما الركيزة الأخرى التي ينبني عليها الفكر التأويلي لديه(ريكور) فهي تلك المتعلقة بمبدأ السؤال وما يقابله من جواب، إذ التأويل يقوم على فهم النص وهو السؤال وتأويله بالجواب عنه، وبذلك يكمن الفهم" في تركيبة السؤال ذاته، وان المعنى لا يملك ناصية تجليه إلا داخل سيرورة هذه التركيبة، فبمقدار السؤال على آفاق الحقيقة بتمظهراتها القريبة منها والبعيدة الظاهرة منها والباطنة... بمقدار ما يتجذر المعنى كرافد رئيس من روافد الاشكلة القائمة حول السؤال"(٦٩)، ولعلّ منطلق النظر إلى قضية التأويل في فكره قد استلهم من فكر أستاذه غادامير الذي رأى هو الآخر أن التأويل لا يتمّ إلا بفهم واستكناه السؤال في قوله على الذكر"أن تفهم النص يعني أن تفهم كجواب عن سؤال"(٧٠)، إذ يقول بوضوح أكثر" إن التأويل يتضمن دوما إحالة جوهرية على السؤال المطروح عليه،بحيث لا يتم فهمه للنص إلا بفهم ذلك السؤال، وهذا لن يتأتى إلا باكتسابه للأفق الهرمين وطيقي بما هو أفق السؤال الذي يقود داخله توجه دلالة النص"(٧١).

ولعلّ من أهم المحطات التي يجدر بنا التوقف عندها فنجعلها خاتمة مسار النظرية التأويلية، محطة تتعلق بالناقد الروائي والسيميولوجي الايطالي(أمبرتو إيكو)،الذي استطاع أن يمنح نفسا جديدا ومغايرا في إعادة تحديد أشكال وصياغات القراءة التأويلية وفق رؤية فلسفية وسيميائية، حيث مثلت أغلب كتاباته صياغة خاصة لإشكالات التأويل وما يحيط به من تشابكات في الدلالة والاشتغال، لاسيما من خلال أشهر كتبه الصادرة في هذا الشأن مثل «الأثر المفتوح" "l'œuvre ouverte" (١٩٦٢)، و"القارئ في الحكاية" "lector infabulo" (١٩٧٩)، و" حدود التأويل" "les limites de l'interprétation" (١٩٩٠)، و"التأويل والتأويل المضاعف""l'interprétation et super interprétation «(١٩٩٦)، مركّزا أكثر على محورين رئيسين يتمثل أحدهما في الآثار التطبيقية التي تنتمي إلى مجال الدراسات التفكيكية أو ما يسمّى كذلك بالتأويل المضاعف، ويخصّ ثانيهما ما له علاقة بما يوسم بالسميوزيس التأويلية، متزودا

Bayan July 2013 Inside.indd 49 6/26/13 9:08:00 AM

بدعامة السيميائيات ومعارفها الجديدة التي أشاعتها نماذجها الخصبة، انطلاقا من تأثير" التراث الذي خلفه السيميائي الأمريكي تشارل سنديرس بورس وخاصة ما يتعلق منه بسيرورة إنتاج الدلالة واشتغال العلامات من «المتناهي" و"اللامتناهي" و"النمو اللولبي للعلامة" و"حركية الفعل التدليلي" و" السيميوزيس""(٧٢).

سعى «إيكو" بوعي شامل نحو توسيع أطره النظرية والاستعانة بمفاهيم وآليات جديدة، مستثمرا بعمق البحوث السيميائية المتطورة، ومستندا إلى جملة العلوم والحقول والتخصصات، حيث تمكّن من أن يتوغل في رحلته النظرية والإجرائية" داخل دهاليز التاريخ والأساطير والفلسفة والمنطق والحركات الصوفية والباطنية، بحث عن جذور خفية لكل أشكال التأويل التي مورست وتمارس حاليا على النصوص"(٧٣)، هذا بالإضافة إلى إفادته من مرجعيات علمية ومنهجية أخرى على غرار بحوث الشكلانيين الروس والألسنيين والانثربولوجيين وبحوث كل من أ.غريماس (Algiradas. Julien.Greimas) (١٩١٧- ١٩٩٢) ورومان جاكبسون (Roman Jakobson) (١٨٩٦- ١٩٨٢) ورولان بارت وجاك دريدا .

لقد اتكأ على جملة من المفاهيم والمصطلحات الأساسية في بلورة نظريته التأويلية مثل"السيميوزيس" و"الهرمسية" و"المؤول" و"المتناهي" و"اللامتناهي" و"الموسوعية" و"التأويل المضاعف" و" الطوبيك" و"الانفتاح" وغيرها من العناصر النظرية المؤسِّسة لملامح رؤيته إزاء التأويل وقضاياه، إذ يعتبر التأويل في نظر إيكو مظهرا رئيسا للسيميوزيس(٧٤)، وهو مفهوم سيميائي يُنسب إلى صاحبه شارل بيرس الذي كان أول من أدخله إلى حقل السيميائيات ويعني لديه" سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وتستدعي من أجل بناء نظامها الداخلي، ثلاثة عناصر هي من يكون العلامة ويضمن استمرارها في الوجود، ما يقوم بالتمثيل(ماثول) وما يشكل موضوع التمثيل(موضوع) وما يشتغل كمفهمة تقود إلى الامتلاك الفكري"للتجربة الصافية"(مؤوّل)" (٧٥).

فمفهوم (المؤوّل) (interprétant) مثلا قد استلهمه إيكو من بيرس وأدرجه في بعض أجزاء تحليلاته عن القارئ ودوره في نشاطه التأويلي، بحيث لم يصبح عنده المؤول مجرد علاقة تفسر علامة أخرى، وليس مرادفا أو ترجمة لكلمة ما، بل هو مفهوم أوسع من ذلك ، صار يشمل كلّ ما يمكن أن يبعثه في ذهن المؤوّل(interprète) من صور ودلالات ونصوص تتناسل فيما بينها ضمن نسيج السيميوز في سلسلة غيرمتناهية من الإمكانات التأويلية، ومنه فالمؤوّل يعتبر بمثابة الحدّ الثالث داخل البناء الثلاثي للعلامة في تصور شارل بيرس بحيث إنّ العلامة هي «ماثول" (representamen) الذي يحيل على موضوع(objet) عبر مؤوّل(interprétant)(٧٦).

Bayan July 2013 Inside.indd 50 6/26/13 9:08:02 AM

يسوق الحديث عن السّيميوزيس بالضرورة إلى ذكر "الهرمسية" (Hermétisme) التي تنسب إلى الإله الإغريقي «هرمس" "hermès» الذي يرمز إلى المعرفة الكلية والتأويل الشامل ، وهو ما يجعل العلاقة بين السيميوزيس والتأويل وثيقة لارتباطهما معا بهرمس(٧٧)، وقد صاغ إيكو هذين المصطلحين في سياق واحد حيث دعاهما بالسيميوزيس الهرمسية، كما لديه مصطلح آخر أدرجَ تحته تصوّرَه عن الإنجاز التأويلي وهو" المتاهة الهرمسية" ذات الخاصية الرّئيسَة في قدرتها على الانتقال من مدلول إلى آخر، ومن تشابه إلى آخر ومن رابط إلى آخر، وبالتالي فان السيميوزيس الهرمسية لا تنفي وجود مدلول شامل واحد ومتعال، بل تؤكّد أنّ أي شيء يمكن أن يحيل على أي شيء آخر كما أن هذه السيميوزيس الهرمسية قد تحيل على السيميوزيس اللامتناهية وفق ما جاء في الصياغات السيميائية لبيرس الذي يؤكّد على المتاهة التأويلية اللامتناهية وذلك باعتبار النص في تصور جاك دريدا آلة تُنتج سلسلة من الإحالات اللامتناهية(٧٨).

أمّا مصطلح" الطوبيك"(le topique topic)) (مثلا، فهو أحد المقولات الأساسية التي يركز عليها" إيكو" بشكل واضح، بحيث يغدو لديه ضمن ترسيمة القراءة والفهم"نقطة إرساء بدئية داخل مسار تأويلي، فكلّ قراءة تنطلق من تصوّر أولي- بشكل حدسي في غالب الأحيان- للمعنى من أجل تحيين مجموع الإمكانات الدلالية أو البعض منها، ويمكن موقع الطوبيك من هذا التحيين أساسا في محاولة محاصرة شظايا المعنى المتولدة عن الانفجارات الأولى فهو يستخدم من أجل ضبط السيميوزيس"(٧٩)، وكأن الطوبيك في نظر إيكو ما هو إلا فرضية للقراءة يستعين بها القارئ للولوج إلى متاهة النص، إذ يقوم بصياغتها على شكل أسئلة وأدوات قبلية يستند إليها في تحيين النص المقروء بغية الاقتراب من الانسجام التأويلي.

جدل النص والتأويل

يفرض النصُ كمنجز إبداعي نظامَه العلامي والجمالي الذي يدعو إلى ضرورة التأويل فالفهم، ومن ثمّة فإن القارئ الذي يناط به فعل التأويل ملزم بالتزود بفطرة تؤهله لهذا الفهم والتفكيك بخبرة تعينه على هذا التأويل ، مشفوعة بثقافة تعمل على تأجيج وقيادة تأويلاته(٨٠)، لا سيما إذا ما بدا أن العلاقة بين تأويل القارئ والنص علاقة تداخل وتجاذب وتفاعل، فالنص «هو في آن واحد نتاج عملية فعل القراءة ، وعنصر أساسي فيها ومكمّل لها أي انه جزء من دينامية شاملة، يتداخل فيها ويترابط معنى النص وخلفيته المرجعية ومساهمة القارئ في ذلك"(٨١)، وهو ما يجعل القارئ يصدر افتراضا آليا قبل مباشرة تجربة التأويل متمثلا في أن النص لا يقول معناه تماما، فيكون تأويله بالضرورة هو الذي يكمّل معناه(٨٢)، غير أن هذا القارئ هل في مقدوره باختلاف أنماطه وأدواته ومرجعياته

Bayan July 2013 Inside.indd 51 6/26/13 9:08:05 AM

أن يقوم بانجاز تأويلي نهائي للنص لا يقبل التعدّد ولا الاجتهاد من جديد أم أن النص بطبيعته الأسلوبية والدّلالية والكنائية كائن يمكن أن ينساب من بين أصابعه وينفلت من حدود المحاصرة والتمكن منه؟ ذلك ما يمكن أن يطرح ثنائية انغلاق النص وانفتاحه، كينونته وانفلات تأويله، باعتبار التأويل غير محدود، ولا يمكن اختصاره في دلالة بعينها، وكلّ محاولة للوصول إلى دلالة يتوهم أنها نهائية لن تعود إلا إلى الانغماس في متاهات لا حصر لها(٨٣).

من هذا المنطلق يتجلى النص انطولوجيا وكأنه موجود يتحدى السيرورة التأويلية، وعلن تأبيه وعصيانه على التكشف والتصريح والتناهي، يظلّ حريصا على أن يكون" منيع الجانب لا يدين إلا لمقتدر يتروّى، لا يغرنك أن يكون النص أول اللقاء به داني القطوف، فإنه في عمقه خبيء، إن أول النظرة «جملة أو إطلاق وتقييم، ولكن مستوى الباطن شيء آخر لا بدّ لنا إذا من أن نطاوله النص ونزاوله، وأن تشق حجبه ونستخرج درره..يحتاج النص إلى «حفر" في طبقاته، كل هذا مؤدّاه أن النص رمز وتلويح لا ظاهر وتصريح"(٨٤)، وهو ما قد يوحي بأن بنية النص تنطوي بطبيعتها على شقين يجدر بالمتلقي أن يمنحهما الاعتبار ذاته، وهما شقّ الظاهر ومثيله الباطن، فيصير النص حينئذ بمثابة طبقات دلالية ينيغي على المؤوّل الحفر فيها وفهم أسرارها، غير أنّ فهم أسرار الظاهر والباطن يرتبط بعضه ببعض، ويتجلّى الأول منهما عتبة لا بدّ منها للولوج إلى الثاني، بحيث من يدّعي فهم أسرار النص ولم يحكم التفسير الظاهر، كمن ادّعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يتجاوز الباب(٨٥)، ولعلّ النص القرآني هو خير مثال على تبيان قيمة المعنى الظاهري في علاقته مع المعنى الباطني، وجدليتهما في تحقيق الدلالة الحقيقية للنص، والتنقيب عن مقاصده ومفاتيحه، ولذلك نلفي من علماء العرب من نوّه بهذا الأمر مركزا على كلا الجانبين كيما يبلغ المفسّر حدّا دقيقا وصادقا من التأويل والفهم" لأن من فهم باطن ما خوطب به، لم يحتل على أحكام الله، حتى ينال منها بالتبديل والتغيير، ومن وقع على مجرّد الظاهر غير ملتفت إلى المعنى المقصود اقتحم هذه المتاهات البعيدة... وعلى الجملة فكلّ من زاغ ومال عن الصراط المستقيم، فبمقدار ما فاته من باطن القرآن فهما وعلما، وكلّ من أصاب الحق وصادق الصواب، فعلى مقدار ما وصل له من فهم باطنه"(٨٦)، وكأنّ هذا القول يحيلنا إلى ما يمكن أن يُطلق عليه في النظريات المعاصرة ب"قصدية النص" في مقابل"قصدية القارئ"، باعتبار قصدية النص مرتبطة في نظر «إيكو" بتخمينات قارئ من نوع خاص وهو القارئ النموذجي الذي يكون بمقدوره الإتيان بتخمينات لانهائية تخصّ هذا النصّ، وحينها تتمّ عملية التأويل الذي ينهض بفعل البناء أو إعادة البناء ضمن حركة دائرية يمكن أن تسمّى بالدائرة الهرمينوطيقية (٨٧) ، ومن هنا قد

Bayan July 2013 Inside.indd 52 6/26/13 9:08:07 AM

يتجلى الجهد التأويلي الذي ينصبّ على قصدية النص عبر المعنى الباطن المتمنّع الذي لا يتأتى الوصول إليه من غير عناء، ذلك ما قد يعزّزه أحد نقاد وبلاغيي العرب القدامى في قوله" إنّ المعنى إذا أتاك مماثلا، فهو في الأكثر يتجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة وتجديد الخاطر له، والهمّة في طلبه، وما كان منه ألطف، وكان امتناعه عليك أكثر وإباؤه أظهر، واحتجاجه أشدّ"(٨٨).

وعليه فالمتلقي في تحاوره وتعامله مع النص ومن ثمّة الشّروعُ في إمكانات تأويله، يظلّ دورُه استراتيجيا ونموذجيا قائما في الأساس على الحدس والاستبطان واستغلال تقنية" الفراغات" مثلا التي توصف بأنها بنية ديناميكية في النصوص، فهي خلفية مهمّة يستعين بها المتلقي ليملأها بالمشاركة والتأويل، وهو ما جعل المنظر الألماني"أيزر" يعدّ الفراغات" مفاصلا حقيقية للنص لأنها تفصل بين الخطوط العريضة والآفاق النصية، وإنها في نفس الوقت تثير التخيّل لدى القارئ، وعندما ترتبط الآفاق بالخطوط العريضة تختفي الفراغات"(٨٩).

تأسيسا على ما سبق يمكننا القول بأنّ الجدل يظل مستمرا ومحتدما بين النّص ككينونة مستقلة لها مواصفاتها وأنساقها وخباياها وقصودها، والتأويل كسلطة آليات ومقولات ومفاهيم لأجل الكشف عن نوايا النص وبواطنه اللامتناهية باعتبار النص متاهة دلالية مفتوحة أو كونا غير منغلق بإمكان المؤوّل أن يكتشف داخله سلسلة من الروابط اللانهائية(٩٠).

الإحالات والهوامش:

١- ينظر أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦، ص٧٧.

٢- ينظرد.نصر حامد أبوزيد: فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص٦.

3- Roland Barthes : s/z, collection points essais,ed.du seuil, paris, 1976,p10.

٤- ينظر عبد العزيز عرفة: الإبداع الشعري وتجربة التخوم، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٨، ص٢٩- ٣٠ .

٥- ينظر د.حسن مصطفى سحلول: نظريات التلقي والتأويل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص٦٢.

٦- ينظر د.محمد مفتاح: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٥.

٧- فريد الزاهي: النص الأدبي، من الرمزية إلى التأويل، مجلة علامات في النقد، ج٦١، مج١٦، النادي الأدبي، جدة، السعودية، ٢٠٠٧، ص١٩٢.

٨- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب،تقديم عبد الله العلايلي، إعداد يوسف الخياط ....، ج١ أ-ر، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، ص١٣١.

٩- سورة الفرقان، الآية٣٣.

١٠- سورة آل عمران، الآية ٧.

١١- سورة النساء، الآية٥٩.

١٢- سورة الكهف، الآية ٨٢.

١٣ - مجدي وهبة: معجم مصطلحات

Bayan July 2013 Inside.indd 53 6/26/13 9:08:15 AM

الأدب، مكتبة لبنان،بيروت،١٩٧٤،(ينظر مادة التأويل) .

١٤- المرجع نفسه: المادة نفسها.

١٥- القاضي الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق د.عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١، ص٣٦.

١٦- نقلا عن د.جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٣٤.

١٧- محمد مفتاح: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي،ص٢٨.

١٨- د.جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، مقدّمات منهجية ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي، ص١٠٢.

١٩- المرجع نفسه، ص١١١.

٢٠- د.نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن،ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ص٢٢.

٢١- نصر حامد أبوزيد: فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن...،ص١٣.

٢٢- فريد الزاهي: النص والجسد والتأويل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص٨٠.

٢٣- محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د.رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، مجد الله الخالدي، د.جورج زيناني، ج١، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٣٧.

٢٤- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الله القشيري: لطائف الإشارات،ج٣، تح: د.إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٢١٠.

٢٥- د.مصطفى ناصف: نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٦، ص٦٦.

٢٦- أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦، ص٥٣.

٢٧- أحمد وهب رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦، ص٢٣- ٢٤.

٢٨- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسّرون،ج١، دار الكتاب الحديثة، مصر، د.ت، ص٢٢.

٢٩- المصدر نفسه، ج١،ص١٧.

٣٠- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،ج٢، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه، ص١٤.

٣١- ينظر المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٢.

٣٢- مصطفى ناصف: نظرية التأويل، ط١، النادي الأدبي، جدة، ٢٠٠٠، ص١٧٣.

٣٣- ينظر د.رضوان القضماني: قراءة في ملف التأويل المنشور في العدد ٤٤٠، ٢٠٠٧، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٤٣، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠٨، د.ص(نسخة الكترونية).

٣٤- ينظر د.حفناوي بعلي: إشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٤٠، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧،د.ص(نسخة الكترونية).

٣٥- ينظر د.فؤاد عبد المطلب: التأويل في الغرب، النشأة والمفهوم، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٤٠، د.ص(نسخة الكترونية).

٣٦- د.نصر حامد أبوزيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص٤٤.

٣٧- المرجع نفسه: ص١٣.

٣٨- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٢٤-٢٢٥.

Bayan July 2013 Inside.indd 54 6/26/13 9:08:17 AM

٣٩- سعيد علوش: هرمنوتيك النثر الأدبي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت- دار موشيبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص١٤.

٤٠- ينظر حفناوي بعلي: إشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر، مجلة الموقف الأدبي ع٤٤٠، دص.

٤١- ينظر المرجع نفسه: دص.

42- voir Bérard Dupuy : Herméneutique, in encyclopoedia universalis, vol 11, s.a, France, 2002, p263.

43- voir Jean Grondin : l'universalité de l'herméneutique, p.u.f, paris, 1993, p6-7.

44- voir Jean Pépin : l'herméneutique ancienne, in poétique n23, éditions du seuil, paris, 1975, p291.

٤٥- نصر جامد أبوزيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص١٣.

46 – voir André Lalande : herméneutique in vocabulaire de la bible (herméneutique sacrée), ed.n18, 1996, p412.

47- voir Hans George Gadamer : vérité et méthode, les grandes lignes d'une herméneutique philosophique, éd. seuil, 1996, p184.

٤٨- أحمد واعظي: ماهية الهرمينوطيقا، مجلة المحجة، ع٦، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٣.

49- voir Encarta 2009(cd) (hermès).

50- voir Bernard Dupuy : herméneutique……, p263.

51- voir Hans G.Gadamer : vérité et méthode…, p183.

٥٢- ينظر فؤاد عبد المطلب: التأويل في الغرب، النشأة والمفهوم، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٤٠،……، دص.

٥٣- محمد مفتاح: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، ص٢٨- ٢٩.

٥٤- ينظر رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٧٥.

٥٥- ينظر سعيد توفيق: مقالات في الظاهراتية وفلسفة التأويل، دار النصر للتوزيع والنشر، مصر، ١٩٩٩، ص٥٥

٥٦- ينظر حفناوي بعلي: إشكالية التأويل ومرجعياته في الخطاب العربي المعاصر، الموقف الأدبي، ع٤٤٠، دص.

٥٧- سعيد توفيق: مقالات في الظاهراتية وفلسفة التأويل، ص٥١.

٥٨- هانس، ج، غادامير: مدخل إلى أسس فن التأويل، تقديم وترجمة محمد شوقي الزين، مجلة فكر ونقد، ع١٦، ١٩٩٩، ص٨٥.

٥٩- ينظر عمر مهيبل: هانز جورج غادامير، خطاب التأويل خطاب الحقيقة، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع١١٢- ١١٣، مركز الإنماء العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ص٤٠.

٦٠- تأليف جماعي: اثنولوجيا وانثربولوجيا، إشراف بيار بونت، ميشال إيزاروآخرون، ترجمة وإشراف مصباح العمد، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٧.

٦١- د. بشرى موسى: نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ٢٠٠١، ص٣٩.

٦٢- ينظر بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص٧ (مقدمة المترجم).

٦٣- إديث كرويزويل: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار الصباح، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٦٦.

Bayan July 2013 Inside.indd 55 6/26/13 9:08:19 AM

64- voir P.Ricoeur : le conflit des interprétations, éd. seuil, paris, 1969, p10.

65- voir Encarta 2009(cd)(paul Ricœur).

٦٦- تأليف جماعي: من الوجودية إلى فلسفة اللغة ضمن الوجود والزمان والسرد، تر: سعيد الغانمي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٧٠.

٦٧- ينظر بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل، تر: محمد برادة، حسان بورقية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٧٨.

٦٨- ينظر بول ريكور: بعد طول تأمل، السيرة الذاتية، تر: فؤاد مليت، مراجعة وتقديم د.عمر مهيبل، ط١، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص٩.

٦٩- المرجع نفسه: ص٨.

70 - voir H.G.Gadamer : vérité et méthode, p222- 223.

71- ibid, p216.

٧٢- أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد،ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ص٩.

٧٣- المرجع نفسه: ص١١.

٧٤- ينظر المرجع نفسه:ص٢٢.

٧٥- المرجع نفسه: ص١٣٨.

٧٦- ينظر المرجع نفسه:ص١٣٩.

٧٧- ينظر المرجع نفسه: ص١٣٨.

٧٨- ينظر المرجع نفسه: ص١١٨، ١١٩،١٢٠، ١٢٤.

٧٩- سعيد بنكراد: النص السردي، نحو سيميائيات للإديولوجيا، دار الأمان، ط٢، ١٩٩٦، ص١٠٣.

٨٠- ينظرد.نعيم اليافي: المغامرة النّقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٢، ص٤١.

٨١- عبد العزيز طليمات: الواقع الجمالي وآليات إنتاج الواقع عند ايزر،مجلة دراسات سيميائية أدبية، ع٦، الدار البيضاء، المغرب،١٩٩٢،ص٦٤.

٨٢- ينظر روبرت شولز: السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي،المؤسسة العربية،بيروت، ١٩٩٤،ص٢٥.

٨٣- ينظر أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص١٥.

٨٤- د.مصطفى ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠، ص١٧٩.

٨٥- ينظر مصطفى ناصف: نظرية التأويل، ص٢٠٣.

٨٦- الشاطبي: الموافقات في أصول الفقه وحكم الشريعة وأسراره، شرح الشيخ عبد الله دراز، ج٣، المطبعة التجارية، مصر، دت، ص٣٩٠.

٨٧- ينظر أمبرتو إيكو: التأويل بين السّيميائيات والتفكيكية، ص٧٧- ٧٨.

٨٨- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق ه.ريتر، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩، ص١٢٦.

٨٩- فولفغانغ ايزر: التفاعل بين النص والقارئ، مجلة دراسات سيميائية أدبية، ع٧٦، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ص١٠.

٩٠- ينظر أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص٤٢.

Bayan July 2013 Inside.indd 56 6/26/13 9:08:22 AM

مقالات

سليمان الفهد .. رحل وفي قلبه هموم العباد

د.عماد القادري

Bayan July 2013 Inside.indd 57 6/26/13 9:08:24 AM

سليمان الفهد
رحل وفي قلبه هموم العباد

بقلم:د.عماد القادري *

مابين الميلاد والموت لحظة. وما بين اللقاء والوداع لحظات.

يدعوني للقاء. أذهب إليه يُهديني نتاج حسه وفكره وقلمه طيلة سنوات عمره، يهمس لي بأخفى أسراره وقد ارتسمت على وجهه بسمة الرضا « لماذا نسجل مذكراتنا وكأننا ملائكة بلا خطايا».

يمتد دفء حوارنا ساعات. يقف بي عند بعض الكلمات . العبد لله. حقيقة . يغبط معشر الأدباء والشعراء الذين يقدرون على تجاوز محنتهم بفقيد عزيز فيكتبون عنه مؤلفاً وديوان شعر يطرزونه بمشاعرهم و ينسبون فيه مواقف الفقيد ومناقبه وينزفون لأن الكتابة عن فقيد عزيز ليست مهمة سهلة كما تبدو لأول وهلة. ذلك أن الكتابة بهذا الموضوع تحتاج من الكاتب إلى أن يبتعد ويخرج من «الإنسان الموضوع» الذي يسكنه ويعيش في وجدانه وخاطره. ومن هنا تكمن المعضلة . إذ كيف يتمكن الكاتب من الابتعاد عن إنسان يسري في نبضه ويعاشره ويرافقه ولا يغادره أو يغيب عن باله البتة ... رحلت معه برحلة داخل حناياه هي سنوات عمره مع القلم.. حكى لي عما أخفاه وواراه حتى عن نفسه. كتب يهديني « للذكرى إن عز اللقاء».

أقول له الذكرى لمن سينسى وأنت صاحب أثر كوشم على جدار القلب ، من الصعب أن يُمحى ومثلك أبداً صعب أن ينسى.

أودعه على أمل بلقاء بعد أيام ٠٠٠تأخذني الأيام ... يلح في السؤال عني أتابع أخباره ... أتحسس خطاه ... اليوم السبت سيسجل حلقة في التلفاز لتذاع في رمضان .... يسجل أربع حلقات في يوم يرفض أن يؤجل التسجيل للأحد ... كأنه بشفافية قلبه كان يعرف أن فجر الأحد سيكون بداية رحلته إلى الخلود ويتركني تائه. أبحث عن حرف بين دموعي لأنعي به رجل ترك ملء القلب هموم «الأرض والعباد « رحم الله العبد لله٠ سليمان الفهد.

---

* كاتب من مصر مقيم في الكويت

Bayan July 2013 Inside.indd 58 6/26/13 9:08:27 AM

قراءات

البيان

نقاد يقيّمون .. "ساق البامبو" للروائي سعود السنعوسي

سعاد نجيب

ديوان "تحت الأنقاض..فوق الأنقاض" لـ: محمد السرغيني

د.عبد السلام المساوي

"أولاد حارتنا" بين الواقعية والعبثية (٢-٥)

سليمان الحزامي

Bayan July 2013 Inside.indd 59 6/26/13 9:08:29 AM

نقاد يقيّمون.. " ساق البامبو" للروائي سعود السنعوسي (" البوكر" تتجه خليجيا)

بقلم: سعاد نجيب *

فاز الروائي الكويتي الشاب سعود السنعوسي بالجائزة العالمية للرواية العربية «البوكر» في دورتها السادسة لعام ٢٠١٣ بروايته المتميزة «ساق البامبو» ليكون بذلك قد حسم السباق الذي احتدم على هذه الجائزة العالمية نظرا لما تميزت به روايته من سلاسة في السرد وثراء في الأحداث والبساطة في الأسلوب والبناء المحكم بالإضافة إلى ذلك جرأة الموضوع المسكوت عنه الذي تم تناوله حيث تطرح الرواية سؤالا شديد العمق ألا وهو «سؤال الهوية»، هوية المعرفة والبحث وانتماء الإنسان وليس فقط هوية المكان والجنسية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرواية قد زاحمت عن جدارة روايات وأعمالا لكبار الروائيين في القائمة الطويلة للبوكر لعام ٢٠١٣، بل وتمكنت من الوصول إلى القائمة القصيرة قبل أن تحصد المركز الأول بحصولها على جائزة «البوكر العربية» العالمية. وقد أشاد العديد من النقاد برواية «ساق البامبو» منذ صدورها في منتصف عام ٢٠١١، وتم الاحتفاء بها وبكاتبها

* كاتبة من مصر.

Bayan July 2013 Inside.indd 60 6/26/13 9:30:15 AM

الروائي الشاب وعضو رابطة الأدباء في الكويت سعود السنعوسي في العديد من المحافل الأدبية المتميزة داخل الكويت وفي الخارج .

وهذا ما أدى إلى ارتفاع الكثير من الأصوات النقدية المتميزة معلنة أنه بفوز هذا الكاتب الروائي الشاب بهذه الجائزة الهامة ثبت أن هذه الجائزة أصبحت تتجه خليجيا نظرا لأن الرواية الخليجية أثبتت قيمتها الأدبية وتطور أدواتها الفنية وكيف تم تناول الأفكار بجرأة في هذه الرواية.

ومنذ البداية يوهم الروائي القارئ أن روايته «ساق البامبو» نصا مترجما عن اللغة الفلبينية فيطالعنا الغلاف الداخلي ليخبرنا بأن هذه الرواية مترجمة ويتمادى الروائي في إيهام القارئ فيضع في مقدمة الرواية استهلال المترجم وتوضيح بأنه يقوم بنقل هذا العمل وترجمته ترجمة حرفية كما جاء من كاتبه الأصلي، ويجيء اسم المترجم «إبراهيم سلام» والذي يتضح للقارئ عندما يقرأ الرواية أنه أحد شخوصها.

كما يلجأ الكاتب أيضا إلى حيلة فنية أخرى فيخدع القارئ أيضا بأن صاحب النص هو هوزيه ميندوزا، وهكذا ومن خلال هذه الحيل الفنية المحكمة يدخل القارئ ويدلف إلى عالم الرواية بما فيها من أفكار جريئة ومناطق شائكة خطرة مثل «البدون» في الكويت.

وتتعدد العناصر الجاذبة للعمل التي تغري القارئ بالإقبال على قراءة هذه الرواية والولوج إلى عالمها الغني بالأحداث والشخوص والمقولات ليجد القارئ نفسه يغوص بين سطورها ويمتزج مع أحداثها ويتوحد مع شخصياتها، فتخالجه مشاعر هي مزيج من الشفقة و الخجل والشجن نظرا للأسلوب الروائي الجميل الذي يتسم بالسلاسة والبعد عن التعقيد.

ولقد أجمع عدد من النقاد على تميز هذا العمل الذي يرجع في الأساس إلى أن الروائي الشاب اعتمد في روايته الثانية «ساق البامبو» على تقديم محتوى إنساني وموضوعية شديدة في الطرح الذي اعتمد على التنوع دون أن يقع في فخ الانشغال بالشكل الفني أكثر من أي شيء آخر.

تتناول رواية «ساق البامبو» قصة «جوزفين» التي تأتي للعمل كخادمة في الكويت تاركة عائلتها ودراستها لتضمن لعائلتها حياة كريمة بعد أن ضاق بأفراد عائلتها العيش. وهناك تتعرف في منزل العائلة التي تعمل لديها، علي راشد وهو الابن الوحيد المدلل لوالديه عيسى الطاروف وغنيمة، وهو شاب يعيش في كنف أسرته، ويقرر راشد الزواج سرا من جوزفين بعد أن تنشأ قصة حب بينهما، ولكنها تحمل بوليدها هوزيه أو خوزيه ويتخلى راشد عنها وعن الابن بعد أن تجبره أسرته على ذلك حيث تم تخييره بين أمرين، إما أن تعود جوزيفين إلى

Bayan July 2013 Inside.indd 61 6/26/13 9:08:34 AM

بلدها الفلبين ويتنكر لها ولجنينها الذي كانت تحمله في أحشائها أو تغضب عليه الأسرة ويغادر البيت نتيجة لهذا الزواج البائس وما قد ينتج عنه من عواقب وخيمة ونتائج سيئة على الأسرة وشرفها ومستقبل شقيقاته الثلاث اللائي لن يخطب ودهن أي من الخُطّاب بعد أن يفتضح أمر هذا الزواج الذي لم ولن يتقبله المجتمع الكويتي بكل تقاليده وأعرافه الاجتماعية التي تحكمه.

وهكذا يتخلى راشد عن زوجته ورضيعها ويرسلهما إلى بلاد الزوجة، الفلبين، فتعود جوزفين إلى هناك خائبة مجروحة مع وعد من زوجها بأن يتكفل برعايتها ورعاية طفلهما عيسى طالما ظل على قيد الحياة، إلا أن غزو العراق للكويت يتسبب في انقطاع الرسائل التي كانت تصلها منه.

وفي الفلبين يعاني الطفل الفقر وشظف العيش ويصبح جزءا من دوامة البؤس ويظل يحلم دائما بالعودة إلى بلاد أبيه، كما وعد بذلك والده راشد زوجته جوزفين قبل مغادرتها للكويت، وبذلك يصبح متأثرا بالصورة الجميلة التي رسمتها أمه في مخيلته.

وهكذا نرافق خوزيه في تيهه الأول في الفلبين بما فيها من أساطير وتناقضات وتجليات ثقافية وكأنه كان طوال الوقت يبحث عن هوية، والحقيقة أننا نستشعر ونستشف من اسمه جوزيه (أو خوسيه)/ عيسى هذه الأزمة، أزمة الهوية التي تلازمه في تيهه ومعاناته ورحلته للبحث عن ذاته، عن وطنه وانتمائه. .

ويبدأ عيسى تيهه الثاني عند وفاة جده وورود أخبار عن وفاة والده، وذلك عندما يأتي اليوم الموعود عندما يتصل صديق والده غسان – الذي كان قد شهد على زواج والديه – بوالدة عيسى عبر الهاتف ليخبرها بضرورة عودة عيسى إلى الكويت بناء على رغبة والده راشد قبل أن يختفي وتضيع أخباره، ويخبرها غسان أنه قد عُثر على رفات راشد قرب مدينة كربلاء في مقبرة جماعية بعد سقوط نظام صدام حسين بعدة سنوات بعد أن لعب دوراً كبيراً في مقاومة احتلال العراق لبلده الكويت.

ويعود عيسى إلى بلاد أبيه وإلى المكان الذي شهد ولادته ومعاناة والدته وعذاباتها عندما اكتُشف أمر زواجها من أبيه. يصل عيسى الكويت يوم وفاة أميرها وتنمو بينه وبين صديق والده غسان صداقة وطيدة، و يتعرف على مأساة "البدون".

يستشعر القارئ قسوة المجتمع على عيسى وعلى من هم مثله عند لقائه بأسرة والده الطاروف وجدته غنيمة وأخته خولة، وعماته اللواتي كن يخشين الفضيحة. وتحت ضغط من أخته خولة تستضيفه الأسرة على مضض ويقيم في ملحق البيت

Bayan July 2013 Inside.indd 62 6/26/13 9:08:36 AM

المخصص للخدم. ويتعرف على خولة أخته الصغرى والتي سرعان ما تصبح ملجأه وأجمل ما وجده في الكويت ويحتار عيسى بتبريرها للتصنيفات الاجتماعية في المجتمع الكويتي.

ولم يجد عيسى الجنة التي طالما حلم بها في الكويت، لم يجد الحلم الرائع الجميل الذي كانت تنسجه له أمه طوال سنوات عديدة لكنه وجد الثروة والمال فقط دون أن يجد الأسرة التي كان يبحث عنها، أما في بلاد أمه الفلبين فكان لا يملك شيئاً سوى العائلة.

وهكذا كان عليه أن يحتمل قدره.. أن يقضي سنين عمره يبحث عن حلم ضائع، يبحث عن اسم ووطن.. يظل في تيهه.. باحثا عن كل شيء ويعود صفر اليدين.. ففي بلاد أبيه امتلك كل شيء سوى العائلة، وفي بلاد أمه لم يكن هناك شيء سوى العائلة ودفئها.

وشعر عيسى بضرورة تركه بيت جده، ولكنه يبقى في الكويت ويمر بالكثير من الأحداث ثم يتعرض للاعتقال والاستغلال من قبل الوافدين ويدرك عيسى حقيقة هامة وهي أنه على أنه «على هامش وطن»، وبعد الكثير من الأحداث والإحباطات وبعد أن يتجدد به الأمل في موطنه الكويت ويحاول أن يندمج فيه إلا إن أسرة والده كانت تقف له بالمرصاد حيث تتوعده عمته وتطرده من عمله بالرغم من دعم أخته خولة له وتعاطف عمته الناشطة الحقوقية هند معه.

وهكذا أثارت الرواية جدلا كبيرا وتساؤلات عديدة، وطرحت قضية شائكة مسكوتا عنها بأسلوب هو الأول من نوعه من حيث شكل الطّرح والمعالجة في المجتمع الخليجي بشكل عام والمجتمع الكويتي بشكل خاص وهذا ما أضفى عليها تميزا خاصا أهلّها لحصد جائزة البوكر العربية لهذا العام. ولقد ناقشت الرواية قضايا الهوية والاغتراب والصراعات الاجتماعية وقبول الآخر ورفضه بشكل إنساني عميق يتمثل في بطل الرواية الذي يعاني انفصاما وغربة متمثلة في هويتين فهو يشعر بالاغتراب والانفصام بين انتمائه المزدوج، ككويتي مسلم من عائلة غنية وفلبيني مسيحي من أم معدمة تعمل كخادمة مهاجرة إلى الخليج. كما يتمثل هذا الانفصام والاغتراب أيضا في الاسمين اللذين يحملهما (عيسى-خوزيه).

والمثير للدهشة أن هذه الرواية الثانية للروائي الشاب سعود السنعوسي بعد روايته الأولى «سجين المرايا»، ورغم ذلك تمكن من طرح هذه القضبة المسكوت عنها بعذوبة وعمق شديد مع الإغراق في التفاصيل المحلية للبلدين أو العالمين البعيدين هما الكويت والفلبين. إن هذه الرواية غارقة في المحلية بامتياز كرواية كويتية نظرا لما تقدمه من مشكلة كويتية خالصة بشكل خاص وخليجية

Bayan July 2013 Inside.indd 63 6/26/13 9:08:39 AM

بشكل عام وذلك في تناولها لظاهرة العمالة الأجنبية والآسيوية في العالم العربي والخليج على وجه الخصوص بالإضافة إلى قضية «البدون» وهم المواطنون الكويتيون الذين لا يملكون هوية وذلك بشكل موضوعي للغاية.

وتبقى تفاصيل الأماكن حاضرةً في الرواية حيث أسهب السنعوسي في وصف الأماكن والشخوص وبالتالي أصبح المكان شخصا رئيسا في الرواية .

ولقد اختار سعود السنعوسي أن يبدأ أحداث الرواية من حيث انتهت وهو ما يزال على أرض الكويت وذلك بعد أن فشلت كل المحاولات التي بذلها عيسى «هوزيه» ليكون واحداً من أفراد عائلة الطاروف رغم مساعدة أخته غير الشقيقة خولة له ومساندة صديق والده غسان له، فيشرع في كتابة سيرته الذاتية بادئا تلك السيرة الذاتية من الفترة السابقة لولادته.

وحتى نكون قد تحرينا الدقة والأمانة في عرض الآراء النقدية التي تناولت رواية «ساق البامبو» يتعين علينا أن نذكر أن بعض النقاد قد ذكروا أنه إن كان الكاتب قد نجح في إبراز حالة الانفصام التي يعيشها بطله الراوي متمثلة في انتمائه المزدوج، الكويتي (الأب) والفيليبيني (الأم)، وفي الاسمين اللذين يحملهما(عيسى- خوزيه)، فهو لم يتمكن من تجاوز الفخ الدرامي الذي كاد يقترب من الميلودرامية، وكذلك شرّك التغريب، وذكر هؤلاء النقاد أن هذا التغريب قد تجلّى في الجزء الفيليبيني من الرواية وأنها قد اقتربت من جوٍ الدراما المكسيكية المنتشرة عربيا عبر الفضائيات، والتي غالبا ما تقوم على الانفصام والثنائية الشخصية والهوية الضائعة.

ولقد استعرضت آراء المتخصصين وكبار الكتاب للتعرف على رأيهم في رواية «ساق البامبو» والروائي الشاب سعود السنعوسي.

فذكر لي الأديب المصري الأستاذ ناصر عراق- والذي فاز بجائزة البوكر العربية العام الماضي عن روايته «العاطل» مناصفة مع الدكتور عز الدين شكري- عن مؤلف رواية «ساق البامبو»: «إن السنعوسي قد وُفق في اختيار قالب السيرة الذاتية ليسرد لنا هذه الحكاية الغريبة والتي تتكرر كثيرًا في منطقة الخليج».

وفيما يتعلق بالرواية والعالم الذي تصوره قال لي الأديب الأستاذ ناصر عراق:

- في رواية (ساق البامبو) يصطحبنا الكاتب الكويتي سعود السنعوسي إلى عالم يضج بالغرابة والتشويق والغموض، فالرواية تتكئ على لقاء عاصف وممتع بين عالمين مختلفين تمامًا: السيد والخادمة.. الكويتي والفلبينية.. المسلم والمسيحية.. الثري والفقيرة.. لقدٍ أنتج هذا اللقاء الحميم ابنا ظلت لعنة الغرابة تطارده منذ نشأته الأولى،

Bayan July 2013 Inside.indd 64 6/26/13 9:08:41 AM

وبحصافة بالغة تتبع الروائي الكويتي الموهوب سيرة هذا الابن المنبوذ (هوزيه) أو عيسى، من قبل جدته لأبيه، وجده لأمه، سواء كان مقيمًا في الفلبين أو الكويت.

- ولقد غاص الروائي الذكي في أعماق بطل القصة مستكشفاً عذاباته ومعاناته في هذه الحياة وتمزقه بين أجواء عوالم مختلفة فكريا ودينيا وثقافيا واجتماعيا ولغويًا.

وعن تقييمه الإجمالي للرواية كعمل أدبي متميز وفوزها بجائزة البوكر العربية لعام ٢٠١٣ ، قال الكاتب ناصر عراق:

- باختصار.. رواية (ساق البامبو) متينة البناء.. ثرية المشاعر.. مصاغة بلغة عربية رائقة وجميلة، فلا ثرثرة فيها ولا إطناب. إنها رواية تمنح قارئها المتعة المنشودة.. هذه المتعة التي ستظل الشرط الأول لنجاح أي عمل أدبي. إنها حقاً رواية تستحق جائزة البوكر لهذا العام بامتياز.

ومن جهتها، قالت الكاتبة الكويتية المعروفة فوزية شويش السالم عندما سألتها عن رواية «ساق البامبو»: «كنت أود أن أعلق على الرواية لكني إلى الآن لم اقرأهاالأني خارج الكويت وعندما أعود حتما سأطلع عليها لأكتب عنها مقال في زاويتي».

أما الكاتب والطبيب المصري الدكتور محمد المخزنجي فقال عندما سألته عن رواية «ساق البامبو»:

- أعتبر هذه الرواية فتحا جديدا في عالم الرواية فهي تتناول المسكوت عنه في الحياة الخليجية والعربية. فالرواية تحتوي على مادة ثرية وتعتبر بحق جهدا بحثيا لدرجة أن مؤلفها الروائي سعود السنعوسي سافر إلى الفلبين وعاش هناك لكي يتعرف عن قرب على طبيعة الحياة هناك وعادات وتفاصيل المكان بكل دقائقه. أما الكاتب فهو شاب يتميز باللطف والتواضع الشديد، وأنا أعتبر هذا التواضع سمة مهمة للغاية بالنسبة لروائي شاب مثله لأنها ستساعده على إثراء تجربته الأدبية ونموها. ونظرا لان خبرة الكتابة تراكمية فإن هذه الموهبة المتميزة ستنمو وستمضي قدما إلى نجاحات أخرى وسيصعد نجم الكاتب سعود السنعوسي في سماء الرواية.

واستطرد الدكتور محمد المخزنجي قائلا:

- تميزت هذه الرواية بأنها غارقة بشدة في المحلية والخصوصية وبالتالي فهي شديدة العالمية، ولقد لجأ الكاتب إلى حيلة روائية مقنعة عندما أوهمنا أن هذه الرواية مترجمة عن اللغة الفلبينية بل ويقدم لنا في مقدمة الرواية اسم المترجم الذي يزعم أنها قد تم ترجمتها ترجمة حرفية عن النص الأصلي وهذه حيلة فنية مقنعة رغم أنها ليست جديدة.

أما الكاتب والمفكر الكبير الدكتور

Bayan July 2013 Inside.indd 65 6/26/13 9:08:43 AM

جلال أمين، أستاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية، ورئيس لجنة تحكيم جائزة البوكر للرواية العربية لهذا العام فتوجهت له بالسؤال:

● بداية، ما تقييمك لرواية «ساق البامبو»؟

- أعتقد أن هذه الرواية ممتازة وإلا ما كانت قد فازت بالجائزة، فقد تحقق فيها امتيازا فنيا وموضوعيا كما أنها تتميزبالعمق الشديد. في واقع الأمر تطرح الرواية موضوعا إنسانيا في المقام الأول ومشكلة اجتماعية مهمة استطاع الروائي الشاب سعود السنعوسي التعامل معها وتناولها بطريقة ناجحة فنيا.

● إلى أي مدى كان هناك اقتناع من جانب أعضاء لجنة التحكيم بالجائزة؟

- كان هناك ما يشبه الإجماع بين أعضاء اللجنة واقتناع بأن هذه الرواية تستحق الفوز بالجائزة الأولى وليس صحيحا ما نشر في إحدى الصحف أني كنت أريد منح الجائزة لرواية أخرى وأني رضخت لرأي باقي أعضاء لجنة التحكيم، فهذا الكلام عار تماما عن الصحة، فكلنا كنا متفقيِّن في الرأي على أن «ساق البامبو» تستحق الجائزة بامتياز وفرحنا بفوزها.

● وما رأيك في الروائي الشاب سعود السنعوسي؟

- من محاسن الصدف أن صاحب العمل الفائز بالجائزة روائي شاب، بخلاف الفائزين في الدورات السابقة من الجائزة، وهذا ما يزيد من سرورنا نظرا لوجود مواهب شابة تبزغ في سماء الرواية العربية، ولكني أؤكد أن هذا لم يكن ضمن عوامل الاختيار.

● وماذا عن أسلوب الكاتب؟

- أعجبني كثيرا أسلوب الكاتب، فالرواية مكتوبة بلغة عربية صحيحة لا تشوبها عواطف مصطنعة، بل أرى أن الرواية زاخرة بعواطف صادقة، كما أنها تميزت بحبكة متكاملة العناصر الفنية الإبداعية ومشوقة للغاية دون تطويل أو إسهاب غير مرغوب فيه.

Bayan July 2013 Inside.indd 66 6/26/13 9:08:46 AM

ديوان «تحت الأنقاض.. فوق الأنقاض» لـ: محمد السرغيني

بِئْرٌ عَميقَةٌ ودِلْوٌ بِحَبْلٍ قَصِير

بقلم: د. عبد السلام المساوي *

لا يختلف المتتبعون لحركية الشعر المغربي المعاصر على أصالة تجربة الشاعر المغربي الكبير محمد السرغيني الشعرية، واتجاهه الفني الذي يميزه عن كل ما يكتب حاليا. فقد اختار منذ تخليه عن الإطار الكلاسيكي العمودي للقصيدة العربية أن يوجد لنفسه مسلكا فنيا مختلفا تماما عن مجايليه على مستوى الصياغة والمكونات، وعلى مستوى مفهوم الشعر والرؤية الجمالية للحياة. وقد ساعده تكوينه الأكاديمي الموسوعي، ومعرفته باللغات الأجنبية، وكذا قراءاته للآداب العالمية على إخضاع هذا المعين الثر من المرجعيات المتنوعة (تاريخية ودينية واجتماعية وحضارية وجمالية...) لشكل جديد في الاستثمار والصياغة اللغوية الفنية خاص به. فمياه نصوصه رقراقة ومتلونة، تنطلق من الذات باعتبارها بؤرة ومركزا لكل خلق أدبي أو فني، لكنها تتماهى مع الذوات الأخرى متحاورة أو متضامنة.. ناقدة أو ساخرة.

يدرك الشاعر محمد السرغيني أن «الغنائية» في الشعر عطبٌ عفوي يصيب الشعراء غير المدربين على العيش في عالم لم يعد مقتنعاً بالبكاء، وأن المعرفة المهضومة تضاهي التجربة الواقعية في المعيش، وأن تفكيك الجمل والأساليب التي تنمطت وإعادة تركيبها هي مهمة الشعراء الذين لا يستسيغون الوقوف تحت المظلات في طقس شديد الصحو. لذلك تقنعنا نصوصه بأن اللغة العربية، بعد قرون طويلة من الكتابة الشعرية،

* كاتب أكاديمي من المغرب

Bayan July 2013 Inside.indd 67 6/26/13 9:08:48 AM

ما تزال لغة قادرة على التخصيب والإنجاب والعطاء المتجدد.. تلك النصوص التي يضمن لها صاحبها نسغاً شعريا معتمدا على حسن تدبير المرجعيات، ومزجها بالتجربة الشخصية في الواقع والحياة، مع حرص شديد على صياغة محصنة من التنميط والاستنساخ. ذلك أن الشاعر محمد السرغيني متفرد بطريقته في كتابة الشعر إن على مستوى الحمولة الفكرية والوجدانية واستجلاب الدلالات أو على مستوى التشكيل اللغوي. فعلى المستوى الأول، تعتبر نصوصه حاملة للمعرفة الإنسانية، لكن بتصرف وتأويل يشيان بقدرة فائقة على الحفر في أنطولوجياتها حفرا يُسوّغُها للتوجيه والإضافة، وحاملة لوجدان لا يأبه بالألم الصغير، بل هو وجدان يطوع الإحساس العادي، ويرقى به لكي يندرج في الحدس الحاد؛ لذلك يختفي البكاء من نصوصه ويختفي أثر الحزن تماما، وينتصر الفكر الثاقب العابر للطبقات مدعوما بسخرية عارمة من كل شيء، حتى من ذات المبدع نفسه.

مناسبة هذا الكلام صدور الكتاب الشعري الجديد للشاعر محمد السرغيني بعنوان مستفز وغني بالدلالات، وهو (تحت الأنقاض.. فوق الأنقاض)، عن منشورات مؤسسة نادي الكتاب في المغرب، في حلة أنيقة من القطع المتوسط تزين غلافه لوحة فاتنة وعميقة للشاعر والفنان عزيز أزغاي. وهو كتاب يثير من جديد الكثير من الإشكاليات التي تطرحها أسئلة الكتابة الإبداعية عند الشاعر محمد السرغيني، خصوصا في أعماله الشعرية. وهي إشكاليات ناتجة عن خصوصية فهمه للشعر وجدواه فهماً يبرز في ممارسته الكتابية التي تتميز بالجرأة الكبيرة في خلخلة النمط، والخروج على النسقية وتقاليد كتابة النص الشعري المعاصر كاليغرافيا وصياغة وتخييلا ورؤية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب فاز مؤخراً بجائزة المغرب للكتاب، فرع الشعر.

من يقرأ الأعمال الشعرية الأخيرة للشاعر محمد السرغيني، ابتداء من كتابه «وجدتك في هذا الأرخبيل» يدرك أن للرجل اتجاهاً خاصاً في الكتابة، لا يتميز به فقط عن الشعراء المغاربة ، بل يجعله على المستوى العربي صاحب مدرسة شعرية قائمة بذاتها، لها مفهومها الخاص للكتابة يستعصي على الضبط المتسرع أو المنتشي بالتعريفات الجاهزة اعتماداً على ما سبق، ولذلك يشكو الكثير من القراء من صعوبة تلقي شعر محمد

Bayan July 2013 Inside.indd 68 6/26/13 9:08:51 AM

السرغيني بمن فيهم المتخصصون، معترفين بأن أيّاً من المناهج لا يصمد أمام نصوصه. فشعر الرجل أو كتابته على الأصح تبتعد عن المطابقة الفنية للمعيش في بعده الذاتي، فلا يصل من أصداء اليومي إلا ما يصلح للاندماج في الصوت الحكيم الذي ينقل تراجيديا الأرض والوجود بسخرية مقهقهة، تمكن صاحب الصوت من الانتصار لغة على أنقاض الوجود.

إن سؤال النوع الشعري. الذي يكتبه شاعرنا ـ يجعلنا نؤجل الجواب، ويدفعنا إلى طرح أسئلة جديدة، من قبيل:

- **ما مفهوم محمد السرغيني للشعر انطلاقاً من كتبه الصادرة إلى الآن؟**
- **أما يزال مصطلح «القصيدة» مستوعباً لما يكتب اليوم من نصوص؟**
- **ما حدود حضور مرجعيات التحصيل الثقافي وما حدود حضور مرجعيات التجربة المعيشة في نصوصه؟ وما هي الطرائق الفنية المتبعة في توليفهما فنياً؟ ثم ما حدود وتجليات الخيال الأفقية والعمودية في كتاباته؟**

هذه الأسئلة وغيرها كثير يمكن أن تشكل محاولة الإجابة عنها مدخلا أساساً للاقتراب من عالم محمد السرغيني الإبداعي، على الرغم من أنه عالم شديد الخصوصية، عرف صاحبه كيف يحميه من الدخلاء المستسهلين للشعر كتابة أو تلقياً، فرفع من مستوى التشفير، لذلك لا يمكن لأي مقاربة لهذه التجربة مهما علا شأنها إلا أن تؤخذ على سبيل الاستئناس. صحيح أن هذا الأمر قد ينطبق على جل المقاربات الشعرية نظرا لطبيعة الشعر الزئبقية وانفلاته الدائم من أية سيطرة منهجية أو تحكم نقدي؛ لكنه في حالة الشاعر محمد السرغيني يغدو أمرا مضاعفا، بل أكاد اقول: مطلقا.. ويرجع ذلك إلى خروجه عن كل مألوف ترسخ في وضعية القصيدة المعاصرة، بدءاً من تشكيل النص فوق الصفحة، مرورا بالمكونات الفنية (الصورة الشعرية، والكثافة، والإيقاع، وطرائق توظيف التراث القديم والحديث...)، وصولاً إلى الرؤية التي تتشكل من تضامن الأبعاد الدلالية. ولعل كتاب (تحت الأنقاض، فوق الأنقاض) أن يكون خير ممثل لكل الكتب الشعرية السابقة لشاعرنا الكبير.

يبدأ الكتاب الشعري الجديد ببرولوغ قصير تماماً كما كان يحدث في بداية مسرحيات سوفوكليس، أو في بداية أية مسرحية تراجيديا لاتينية.. والبرولوغ عادة ما يهيئ المتلقي لما سيأتي عن طريق تلخيص

Bayan July 2013 Inside.indd 69 6/26/13 9:08:53 AM

ما مضى؛ يقول السرغيني فيه:

(مَمْلكةٌ مشيَّدة على أقْصى مدىً منَ الدَّهاء والطيْش. في شَرانقها نُقوشٌ حَجريَّة. مُعبَّأة مَواسمُها بقَشِّ الإثارَة. أجْسادٌ لا نَكْهَة لهَا. أنْفاسٌ نَازفةٌ منْ رئَات يابسات. ثمَّة رائحةُ انْسَحاب مّا...)

قارئ هذا الكلام التمهيدي سيتوقع لا محالة أن الأمر يتعلق بعمل درامي، تتعاقب فيه وقائع الحرب والحب والخيانة، مثلما كان يحدث في المسرح الإغريقي أو حتى في مسرح شكسبير.. قد يكون الأمر كذلك إذا حاولنا أن نُفْرط في تأويل الصفحات القادمة من الكتاب، خصوصاً وانفتاحُها يبيح لنا أن نتخير من المشاهد والمعاني والدلالات ما يحلو لنا أن نجلبه إلى إدراكنا.. لكن هيهات، فما نتجاوز السطر الثاني من البرولوغ حتى نبدأ في الشعور بالدوار، حيث تنثال العبارات انثيالاً يجمع بين ما لا يُجمع، ويُركب ما يستحيل عادة تركيبُه. ويعلو صوت الشاعر الحكيم ساخراً من الحياة بمتاعها، ومن المعنى بقرينه؛ الشيء الذي قد يدفع القارئ إلى أن يصيح على لسان صاحب الكتاب:

بئْرٌ عَميقَةٌ ودلْوٌ بحبْلٍ قَصير

وينثال الكلام الشعري طوال البرولوغ محتفيا بالأمكنة والأزمنة وبالأسماء التي انحفرت في ذاكرة الشاعر ووجدانه، لعل أبرز تلك الأسماء أضحت رموزا لتخليد لحظات دالة في تاريخ الحضارة الإنسانية. حتى لكأن الشاعر يواجه الزمن بما يقوى على هزمه والقضاء عليه.. فيكون التيمن بالأرواح الكبيرة للشعراء الكونيين ملجأ ضامناً للابتهاج أمام لحظاتهم الدالة، ويكون شاعر غرناطة غارسيا لوركا نموذجا لهم، فيستعيد به إحدى أجمل نصوصه التي رثى فيها صديقه الحميم إغناثيو ميخياس سانشيث (مصارع الثيران) الذي قضى في حلبة الكوريدا فيما الساعة الخامسة تعلن دقاتها الرهيبة، للإشارة فقد كانت ترجمة الشاعر محمد السرغيني لقصيدة لوركا التي يرثي فيها صديقه من أعمق الترجمات التي خصت بها تلك القصيدة الشهيرة. هكذا يصبح الموت في غرناطة أمراً مغرياً، يحبب فيه شاعرٌ يمتلك تعاويذ الكلام وبخور الصور الأخاذة، يقول الشاعر:

قريبا من غرناطة مات. بعيدا عن غرناطة نسي موته. دقت الساعة الخامسة مساءً بالضبط. حضر الجرح والدم المراق والجثة الغائبة وانتشت الروح بقدرما سمح به الحزن. لا خيار للغجري إلا ترقب موته الموعود في غرناطة.

Bayan July 2013 Inside.indd 70 6/26/13 9:08:55 AM

بخصوص تشكيل نص (تحت الأنقاض فوق الأنقاض) كاليغرافياً على الصفحة البيضاء، اختار الشاعر محمد السرغيني أن ينتهج مسلك المزاوجة بين ملء الصفحة كلها بأسطر كاملة، لا يوقفها إلا نهاية الحيز الورقي، كما لو أن الأمر متعلق بكتابة نوع نثري من قبيل الرواية والبحث والمقالة، وبين تشكيل الصفحة بطريقة النص الشعري الحر المتعارف عليها. ولهذا المسلك في تشكيل النص دلالاته يمكن للقراءة المتخصصة أن تكشف عنها.

والكتاب في معظم مفاصله، عملٌ شعري ملحمي منفتح على عوالم الذات والثقافة، ومحاورة النصوص الخالدة، لا يرتكن فيه الشاعر إلى الصوت الأحادي الذي نصادفه في القصائد الغنائية، وحتى في القصائد المنسوبة إلى الحداثة، كما أنه بعث للحظات المشرقة والدامية لما عاشَه ويعيشه الإنسان، واختبار للكينونة الإنسانية ولوجودها الهش في عالم أكثر هشاشة، ولكن قوتها توجد في الفكر والوجدان، وبالتالي في الثقافة التي ارتفعت بهذه الكينونة وعوضتها عن هشاشة الجسد وأعطابه.

أماعلى مستوى الصياغة اللغوية، فيمكن اعتبار كتاب «تحت الأنقاض، فوق الأنقاض» امتدادا للصياغة الشعرية التي اختارها الشاعر في أعماله الشعرية السابقة، وإن عمل على تطعيمها بمكونات جديدة ابتكرها انطلاقا من السياق والأجواء التي رافقت إنجاز عمله الجديد. فمن حيث المتخيل يؤثر الشاعر دائما الابتعاد عن البهرجة البلاغية، مستعيضا عنها بالصور الذهنية التي تدعمها المفارقة وأسلوب الإطناب الشعري الذي يُعدّ خصيصة سرغينية بامتياز. كما تدعمها الإسنادات الغريبة في غير بعد عن الموقف أو الرؤية التي تحكم الدلالة، وغالبا ما يُغلّب الشاعر منطق إشباع المتلقي بانهمار للصور في غير توقف، يقول مثلا في نص (قراءة وكتابة تحت الضغط):

بسَذاجة وغُرور الأبجديَّات تشْتعل الكتابَة. بقدَّاحة آلية تشْتعل القراءَة. بالعقْل والنَّقْل تشْتعل التَّجْربة. ويبْدو أنه لا مَفر منْ مَجيء مَريخيّين يقرأونَ المكْتوب مَحدوساً على شاشة الحواس. لا مَفر للكائن النَّقدي من البطاقة المُمَغْنطَة والشبَّاك الآلي. (كثيراً ما تُقرأ الهُويات المنْقوشة على شاشَة بيْضاء قراءةً داعرةً كمَا لوْ أنَّها نُقودٌ مزيَّفة). الكتابَةُ والقراءَة كاسْتعمال بطاقة التَّعريف بعْد انْقضاء تاريخ صَلاحيتها. يقرأ الفألُ الحسَنُ في الفنْجان مقلوباً ما تكتبه ثُمالة

Bayan July 2013 Inside.indd 71 6/26/13 9:08:58 AM

البُنّ في قعْره. يَقرأ الحبْر الصّينيُّ سوادَه وسيُولتَه. احْتطبَ الكتَّابُ والقراءُ طيناً لبناء أجْسادهمْ، وثلجاً محْلوجاً لتَهدئَة أعْصابَهم. كتبوا الحروفَ من اليَمين يساراً ومنَ اليَسار يميناً لكيْ يحْتفوا بقراءَتها من الجهات السِّتّ. (مهانةٌ أن تُنقّح البردِياتُ بمَكانسَ كهْربائيةٍ)...

هذا وضع الكتابة والقراءة تحت الضغط كما يتصوره الشاعر، وهو تصور وصفي يعتمد جملا سوريالية تحاول تقريب صورة الكتابة والقراءة حالياً، والوضع المأزوم للمشتغلين بهما في ظل متعلقات العولمة. قد تبدو الصياغة مألوفة بعباراتها الناتئة والمباشرة، وبتواتر السرد العادي، إلا أن ورود إسنادات من قبيل (المكتوب محدوس - شاشة الحواس - الكائن النقدي - ثلج محلوج) وصور تركيبية من قبيل (الكتابَة والقراءَة كاسْتعمال بطاقة التَّعريف بعْد انْقضاء تاريخ صَلاحيتها - مهانةٌ أن تُنقّح البردِياتُ بمَكانسَ كهْربائية..) كل ذلك يَعمل على ضخّ الغرابةً في المألوف، كما يتيح للمعنى أن يعود إلى لانهائيته. سمة فنية كهذه، نجدها مهيمنة على كل أجزاء هذا العمل الإبداعي المتكامل، فهو ليس مجرد تجميع لنصوص متفرقة، إنه عمل مبني بناء عضوياً محكماً، تتفاعل فقراته وأجزاؤه وتتكامل، فاسحةً لنا أحيازها الملأى بالدلالات والرموز. وقد أمكنتنا قراءة هذا العمل الهام من الوقوف على المميزات التالية:

١. كلام عميق بطَعم الحكمة، لكنه بعيد عن نمطيتها، لصاحبه براءة اختراعه، فهو يتوصل إليه بحذقه في تدبير شؤون المعيش وتدبير المرجع، وبحدة فكره الذي برته الحنكة والتجربة الطويلة، مثلما نجد في هذه المجتزآت:

- عتابُ لحظةٍ له طَعم حقْد جيل كامل.
- المَوتُ ردُّ فعل، الموتُ فاكهةٌ تؤجِّل تاريخَ فنائها.
- بئرٌ عَميقَة ودلو بحبْل قصير.
- كلُّ الكتُب يفجِّر ناشرُوها كبْتَ كُتابها، إلا كتابٌ يضرم النارَ في أسْنَان المَطبعة.

٢. سخرية فادحة السواد، هي ما تبقى من أسلحة الشاعر أمام جبروت الزمن ومفارقات الحياة، سخرية تمنح التوازن للباث والمتلقي في تفاعلهما أو عبر التواطؤ الرمزي على مواجهة مشتركة، طرفاها: إمعان في الكتابة، وإفراط في التأويل، مثلما نجد في المجتزآت النصية التالية:

- ثيابُ السلطة زمنيةٌ ولا تسْتر عراءَها. حُضورُ الحزْب في المَآتم شهَادة عمَل. كثافةُ الإيديولوجيا

Bayan July 2013 Inside.indd 72 6/26/13 9:09:00 AM

ورقيَّة.

● طينَة الشَّاعر وفخَّار القدَح يتَقاسمان رتابَة الأنْخاب والثُّمالة والانْتشاء المؤجَّل (استشهادٌ على أعْتاب مرثيَّة) سَعير يغْضب.

● كل تربَة مقدسة لهَا حدودٌ صالحة للتَّهريب.

● كيْف يُطبِّق القلبُ تعاليمَ الكلام المُعتقل وهو مُتلبِّسٌ بجَريرة عدم تقْديم المُساعدة لشَرايين في حالة اخْتناق.

٣. هيمنة أسلوب السرد التفصيلي الذي يزري بالتزويق الشكلي ويطوح بالبلاغة، حتى لكأن الأمر شبيه بالأسلوب المقالي العادي والمبتذل، لكن الشاعر محمد السرغيني يعرف كيف يرقى بالإبداعية إلى درجة أعلى، في اللحظة المناسبة عبر اعتماد طريقة التصوير الذهني التي تؤسس لبلاغة فكرية تنبني على التجريد لا على التحسيس. وهذه الخاصية تكاد تهيمن على كافة فقرات كتاب (تحت الأنقاض، فوق الأنقاض)، ونورد على سبيل التمثيل مقطعا يحمل عنوان (تقطيع إداري):

● المـاءُ تحْت الهوَاء. الهَواءُ تحْت الظُّلمَة. وبينهما تتبرج المعرفة بلباس التنكر وهي تقوم بعملية تقطيع إداري مطالب بتسهيل مهمة انتخاب الثلث الحاكم: الاقتراع يوم السبت. التصويت يوم الأحد. الفرز يوم الإثنين. النتائج يوم الثلاثاء. التنصيب يوم الأربعاء. الحصانة يوم الخميس. ليس لنقطة النظام غير يوم الجمعة.

٤. توظيف عبارات وأمثال يكثر استعمالها عند العوام توظيفا خاصا يمنح هذه العبارات والأمثال طراوة وتجددا بفضل السياق الإبداعي الذي يتيحه لها الشاعر، فتغدو خادمة للسياق ومخدومة بسببه، من ذلك مثلا:

● (هذا ولا يزال البعير حانقاً على القشة التي قصمت ظهره).

● هناك على العكس افتراض واحد، هو أن اللغات الخشبية استهلكت أنفاسها وهي تبحث عن جحا بين المسمار والجدار.

× ناج من تهمة التستر على الجريمة كل من أوصل الكذاب إلى عتبة باب بيته فيما «بين النهرين» مخفورا بولاء مشبوه.

٥. إلا أن ما لفتني في هذا الكتاب هو حضور مقاطع متفاوتة الطول والقصر مكتوبة باللغة الفرنسية. صحيح أن هناك كثيرا من المبدعين يوظفون كلمات أو عبارات بلغات أخرى في نصوصهم المكتوبة بلغتهم الأصلية، إلا أن تلك الممارسة تكون محكومة بضرورة فنية وفي حدود ضيقة. أما في كتاب (تحت

Bayan July 2013 Inside.indd 73 6/26/13 9:09:03 AM

الأنـقـاض، فـوق الأنـقـاض)، فإن الأمـر غـيـر ذلـك، فـمـن جـهـة فاق عـدد استعمالات اللغة الفرنسية في الكتاب ٥١ مـرة، وتـراوح هذا الاستعمال بين المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة، وبين المقاطع المستقلة والمقاطع الممتزجة. ويمكن إرجـاع ذلـك إلـى رغبـة المبـدع في استرجاع أجواء ثقافية عاشها وهو يقرأ في أمهات الكتب الفرنسية أو وهو يسرح في ربوع باريس مستمتعا بفنونها ومسارحها وأشعارها، بحيث لا يمكن استرجاع تلك الأجواء إلا عن طريق اللغة الحاضنة لها، هذا بالإضافة إلى الرغبة في إشراك القارئ مزدوج اللغة في هذا العمل الملحمي الذي تتعدد فيه الأصوات والثقافات واللغات.

وعلى العموم، يمكن اعتبار الكتاب الجـديـد (تحـت الأنـقـاض فوق الأنـقـاض) استـمـراراً للمشروع الـشـعـري الـذي يـكـتـبـه محمد الـسـرغـيـنـي، مـراهـنـا فـيـه على الـقـراءات الـقـادمـة الـتـي يمكن أن تـكـون قـرينـة لـه فـي المحايثة الإبداعية، إذا عرف أصحابها كيف ينصتون لدبيب الدلالة في الفقرات والشذرات التي تتكتب ضمن هذا المشروع الشعري المنفلت من كل تنميط نوعي، والخارج عن أي نموذج عرفته القصيدة العربية المعاصرة.. إلا أن ما يمكن الاطمئنان إلى فهمه واستيعابه، كون هذا الكتاب وغيره من الكتب الشعرية التي سبقت لحظات إبداعيةً دالة في سيرة الشاعرً محمد السرغيني الحيوية والثقافية.

Bayan July 2013 Inside.indd 74 6/26/13 9:09:05 AM

الفصل الثالث
عبثية الزمان والمكان

بقلم: سليمان الحزامي *

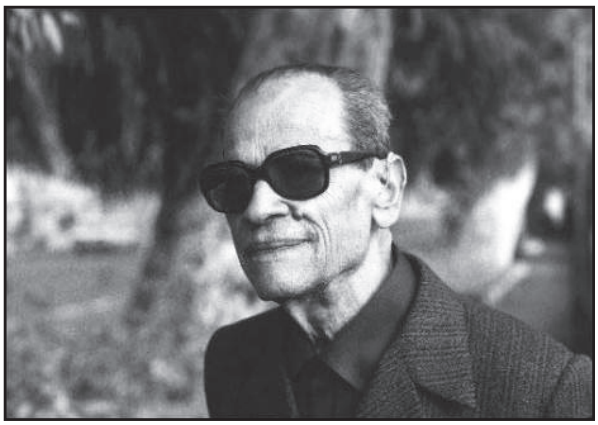

الحديث عن أدب نجيب محفوظ، حديث ذو شجون، والخوض في أدب هذا الأديب العالمي يستحق التوقف عنده مرات ومرات، والحديث يزيد إيضاحاً عندما نتكلم عن رواية أولاد حارتنا، التي تحدثنا عنها في فصلين سابقين، من هذ الكتاب.

وأولاد حارتنا رواية كما ذكرنا سابقاً، تتسم بالعبثية واللامعقول، فهي رواية يبدو لي أن نجيب محفوظ، بعد توقف استمر سنوات، أراد أن يعود بتجربة جديدة بعيدة عن واقعية رواياته السابقة، وهي واقعية الشخصية المصرية، بكل أبعادها،والحارة المصرية والأزقة المصرية، وبكل ما يتصل بالشخصية ذات البعد الشعبي والإنساني الموجود بين طبقات المجتمع المصري الكادح.

أولاد حارتنا رواية تبدو للوهلة الأولى إنها من واقعية نجيب محفوظ، لكن رغم الخلط التاريخي الذي تتسم به الرواية، فإن نجيب محفوظٍ حور واقعيته إلى عبثية روائية، بمعنى أن نجيب محفوظ أراد أن يقدم برهاناً على عبقريته الأدبية، فكتب قصة أولاد حارتنا من منظور أدب اللامعقول أو أدب العبث، واختار التطور التاريخي لدور الإنسان وتأثيره في المجتمع الذي يعيش فيه.

---

* كاتب مسرحي من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 75 6/26/13 9:29:43 AM

وحتى لا يبتعد نجيب محفوظ عن واقعيته العبثية فقد اختار فترة زمنية جاءت بعد بناء مدينة القاهرة، أي قبل أن تتوسع مصر بالمفهوم الحديث، فروايات نجيب محفوظ الأخرى تدور في القاهرة الكبرى، لكن أولاد حارتنا تدور أحداثها وعلى مدى ما يزيد على ١٥٠ سنة في منطقة جبل المقطم وما يحيط به من أماكن، حيث كان جبل المقطم منطقة صحراوية بعيدة عن العمران وبعيدة عن القاهرة القديمة، فاختياره لمنطقة المقطم اختيار موفق من حيث جغرافية الحدث، ولكن من حيثٍ تاريخ الحدث فأعتقد إنه كان بعيداً عن الموقف التاريخي الذي ارتبطت به الشخصيات الأساسية في رواية أولاد حارتنا وهي حسب ترتيب الرواية أدهم وعائلته وجبل وعائلته، ورفاعة وعائلته وقاسم وعائلته، فهذه الشخصيات الأربع، التي جاءت بترتيب زمني مختزل بمائة وخمسين سنة أو أكثر قليلاً، وكلها دارت في محيط جبل المقطم، وهنا ندخل في عبثية المكان بالإضافة إلى عبثية الزمان.

وعندما ينتقل محفوظ إلى شخصية عرفة وتنتهي بموت هذه الشخصية فإن البناء الحضاري الحديث يكون بعيداً عن نتائج الحياة العصرية.

كما أن التأثير الغربي على المجتمع الذي تدور فيه هذه الشخصيات غير موجود نهائياً،فانقطاع الحضارةٍ والتواصل الحضاري غاب غيابا كاملاً عن شخصيات أولاد حارتنا، بمعنى أن شخصيات أولاد حارتنا هي شخصيات صنعها نجيب محفوظ بشكل منفرد عن العالم الآخر وكأن نجيب محفوظ يريد أن يقول بشكل غير مباشر -وهذا من حقه- أن مصر هي صانعة الحضارات وهي نظرية تحمل الضدين الصح والخطأ ولكن بالتأكيد لا تحمل كل الدلائل التاريخية المتعارف عليها من حيث الرسائل السماوية للديانات الثلاث المتعارف عليها وهي اليهودية والمسيحية والإسلام.

إن نجيب محفوظ في أولاد حارتنا ومن خلال حبه لمصر ، ومن خلال رغبته في ممارسة الكتابة العبثية اختزل الزمن واختزل المكان بأن هذه الأحداث وقعت -كما ذكرنا سابقا- فيما يزيد على ١٥٠ سنة وفي مكان واحد هو جبل المقطم وما يحيط به من مناطق، حتى أن أحداث أولاد حارتنا لا تصل إلى القاهرة التي كانت حديثة البناء كما نستنتج من الرواية عندما كتب محفوظ أولاد حارتنا ؛ بالإضافة إلى أن البشر أو الناس الذين كانوا يعيشون في محيط جبل المقطم خلال هذا الزمن كانوا لا شيء يسليهم إلا المخدرات وتعاطي الحشيش وتدخين النارجيله أو الشيشة، وشراب البوظة. وهذا خط من خطوط العبثية في هذه الرواية، والمستوى الأخلاقي المتدني لجماهير المنطقة التي اختارها محفوظ أحداثا لروايته، وكأننا أمام شعب لا علاقة له بالأديان رغم أنه في كثير من الحوارات يأتي ذكر الاستعانة بالله عز وجل والإيمان به

Bayan July 2013 Inside.indd 76 6/26/13 9:09:11 AM

والإيمان بالقضاء والقدر والصلاة على النبي، لكن الحرب الشعواء بين الناس من خلال استخدام «النبوت» والتحطيب وكأننا نعيش في مجتمع لا تحكمه أي قوة فيها شيء من العدالة أو فيها شيء من التوازن والاتزان الأخلاقي، وهذا أمر لا يعتبر عيباً في النص إذا نظرنا إليه من زاوية عبثية أو من زاوية أدب اللامعقول، ولكن إذا تعاملنا مع هذا الموقف من خلال واقعية نجيب محفوظ فإننا نجد أنفسنا أمام مجتمع لا علاقة له بالأديان، رغم أن الرواية تؤرخ لتطور الأديان السماوية الثلاثة.

أولاد حارتنا رواية تستحق إعادة الدراسة، وقراءتها من جديد على ضوء المعطيات الأدبية المتعارف عليها من خلال -كما ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب- عبثية الحدث واللامعقولية للشخصيات،

فحتى الشخصيات الأساسية التي ذكرناها في بداية هذا الفصل نجد رغم الوصف المسهب من نجيب محفوظ حول إنسانيتها وأخلاقها العالية إلا أنها تتسم بالعنف والخوف وعدم الاتزان في طرح الدعوة وهذه أيضاً نرجعها إلى عبثية النص لرواية أولاد حارتنا.

إن هذه الرواية والتي نشرت قبل ما يزيد على ٥٠ سنه تؤكد على عبقرية نجيب محفوظ في استخدامه للموروث الشعبي المصري لبناء روائي عبثي، وهنا نتساءل: هل وفق نجيب محفوظ في إسقاط هذا الحدث العبثي على الشخصية المصرية؟ الإجابة من وجهة نظر الكاتب تقول: لا، مع الأسف الشديد، فالكاتب يذهب إلى أن نجيب محفوظ ظلم الشخصية المصرية الطيبة ذات الأبعاد الإنسانية الرقيقة، سواءٍ كان أو كانت هذه الشخصية رجلاً أو امرأة، بالإضافة إلى أن نجيب محفوظ حاول من خلال الشخصية المحورية للرواية، وهي الجبلاوي، أن يقول أن هذه الشخصية، ذات سلوك إنساني واحد، نجيب محفوظ حاول أن يؤكد هذه الحقيقة ولكنه أخفق بشكل غير مباشر عندما حاول أن يجعل من الجبلاوي شخصية غير عادية وعندما اعتبره من قبل الآخرين أنه المرجع لهم وأن رضاه عليهم نعمة لا تقدر بثمن كما أن سخطه عليهم ذنباً لا يغتفر.

فالجبلاوي هنا شخصيةٍ حادة المزاج إن كان إيجاباً أو سلباً ولكن نجيب محفوظ جاء في النهاية ليغلب هذه المعادلة ويقول إن الجبلاوي هو مجرد إنسان يحيا ويموت بدليل إنه في آخر الرواية وصل معه إلى نهاية الرحلة وهي الموت.فالجبلاوي الذي كان يسرح ويمرح مع أدهم وعائلته، ومع جبل وعائلته ومع رفاعة وعائلته ومع قاسم وعائلته، مات عندما التقى أو عند خيوط اللقاء بينه وبين عرفة الذي هو العلم أو هو المستقبل أو هو التطور الحضاري، بمعنى أن الجبلاوي هو شخصية عادية جداً

Bayan July 2013 Inside.indd 77 6/26/13 9:09:13 AM

حاول نجيب محفوظ أن يجعل منه شخصية غير عادية، ولكنه في النهاية أماته لتوضح الرواية في النهاية أن معقولية الحدث هي التي تختم رواية أولاد حارتنا التي كتبها نجيب محفوظ من خلال رؤية عبثية أو رؤية غير معقولة.

وما يؤكد وجهة النظر السابقة، تداخل الأحداث بعضها ببعض والتواصل من وإلى، وهناك خيط لم يستطع نجيب محفوظ أن يستمر معه وهو طرد إدريس من بيت الجبلاوي، فإدريس هذه الشخصية الشريرة مات في أول الرواية، ولم يكن له امتداد هناك شخصيات شيطانية في الرواية ولكن لا تصل إلى مستوى إدريس كما رسمه نجيب محفوظ في بداية الرواية، بالإضافة إلى التداخل بين الشخصيات واختزال الزمن لهذه الشخصيات، بمعنى أن الشخصية التالية تتذكر الشخصية السابقة بكل تفاصيلها، وحتى يؤكد نجيب محفوظ معقولية هذه الرؤية لجأ إلى شاعر الرباب في المقهى الشعبي في جبل المقطم أو ما حوله، فنجد أن شاعر الرباب يعود إلى رواية أدهم وطرده من منزل أبيه أو من البيت الكبير، والحديث عن الشخصيات الأخرى بالتوالي، فشاعر الرباب في زمن جبل يتحدث عن أدهم (وقدري وشقيقه همام) وأميمة وإدريس وهند، ويروي شاعر الرباب ما حدث لجبل وأهله وزواجه من شفيقة وعلاقته بوالدها، وبعد ذلك يأتي شاعر الرباب في زمن أو في فترة رفاعة ليتحدث عن جبل، وهكذا يستخدم نجيب محفوظ التذكير بأحداث تاريخ أولاد حارتنا من خلال شاعر الربابة أو شاعر الرباب من باب عبثية الحدث أكثر مما هو من باب معقولية الحدث.

ولعل الفصل الأخير من الرواية والذي يتعلق بعرفة وصاحبه وعلاقته بعواطف ونهاية عرفة مع عواطف تؤكد على عبثية الحدث عند محفوظ في هذه الرواية والتي يريد من خلالها نجيب محفوظ أن يقول: إن العلم قد يموت صاحبه لكن العلم كعلم لن يموت بدليل عدم العثور على النص الذي كان موجوداً عند الجبلاوي في بيته والذي ضاع بشكل غير معلن لأن صاحب عرفة وأخيه حنش لم يعثر على تلك الأوراق والتي هي -كما يراها الكاتب- تعني استمرار العلم في الحياة.

إن الرمز والعبثية واللامعقول دعامات ثلاث استخدمها نجيب محفوظ بشكل ذكي في بناء روايته أولاد حارتنا وأذهب إلى أن هذه الرواية كلما تقدم الزمن أو الوقت فإنها ستحظى بكثير من الدراسات لفك رموز أشياء كثيرة تحملها هذه الرواية التي منعت في فترة ما؛ ولكن وجودها الآن أمام القراء والدارسين، هذا العمل العبثي الجميل لكاتب عالمي مثل نجيب محفوظ يعطيها ويعطينا الحق في دراسة وفك رموز رواية أولاد حارتنا والتي أعتقد إنها بحاجة لكثير من الدراسة والبحث والتدقيق.

Bayan July 2013 Inside.indd 78 6/26/13 9:09:15 AM

الفصل الرابع

تدافع الأحداث ومحدودية المكان والزمان

قسم الروائي نجيب محفوظ روايته «أولاد حارتنا» إلى خمسة فصول أو أجزاء بالإضافة إلى مقدمة قصيرة على لسان الراوي، والفصول الخمسة هي:

الفصل الأول: ويتحدث عن جبلاوي وأولاده وبيته ذي الأشجار والأجواء الخاصة التي تحيط به، ويتحدث عن شخصية الجبلاوي كشخص ذي عنفوان وصاحب قرار وله السمات الشخصية القيادية، بل الشخصية القاسية والسريعة في اتخاذ القرار والذي يصل إلى درجة عدم الرجوع عن القرار الذي يتخذه مهما كانت النتائج.

والفصل الثاني: يتحدث عن جبل وقصته مع أبناء حيه، أو المنطقة التي يعيش بها جماعته، والفصل الثالث: يتحدث عن رفاعة هذه الشخصية المسالمة والتي تتفق والقول المأثور من صفعك على خدك الأيمن فأعطه خدك الأيسر.

والفصل الرابع: يتحدث عن حي الجرابيع وعن شخصية قاسم الراعي الذي ينجح في إحداث تغيير كلي في مجتمع الجرابيع، وخاتمة الرواية والتي هي خلاصة هذا العمل والتي كما أراها تشكل رواية شبه مستقلة عن أولاد حارتنا رغم وجود الخط الدرامي أو البناء الروائي مع ما سبق من فصول إلا أن حكايةٍ عرفة وما يحدث له مع حنش وعواطف تعتبر من وجهة نظر الكاتب عملاً ذا صفة مستقلة، أو يكاد.

وبشيء من التفصيل نعود لنتحدث أكثر عن هذا العمل العبثي أو اللامعقول، -كما أرى- والوحيد الذي كتبه نجيب محفوظ مختلفاً تمام الاختلاف عن كتاباته الأخرى السابقة واللاحقة، إلا أنه حافظ على النقاط التالية:

(١) أحداث الرواية تدور في مصر وتحديداً في منطقة جبل المقطم وما حولها.

(٢) العمق الزمني غير المحدد إلا من إشارات وردت في الرواية تقول أن أحداث رواية أولاد حارتنا حدثت بعد بناء مدينة القاهرة، بالإضافة إلى بعض الإشارات التي تدل على أن هذه الرواية حدثت في وقت ليس بعيداً عن القرن العشرين أو دعنا نقول في القرن التاسع عشر أو أواخر القرن الثامن عشر. لأن نجيب محفوظ في هذه الرواية لم يحدد الزمن ولكن طرح إشارات تدل على زمن أحداث الرواية رغم عبثيتها.

Bayan July 2013 Inside.indd 79 6/26/13 9:09:18 AM

(٣) العنصر الزمني في الرواية محدود ما بين خمسين إلى مائة سنة أي قرناً من الزمن على اعتبار أن جبلاوي عندما بدأ نجيب محفوظ في سرد روايته كان عمر الجبلاوي استنتاجاً أكثر من مائة سنة وهذه فترة تقديرية.

(٤) الأحداث التي مرت على أدهم بعد خروجه من بيت أبيه أو طرده مع زوجته أميمة، وبعد طرد إدريس قبله، هذه الفترة الزمنية لم يحددها الكاتب، ولكن أيضاً نأخذها استنتاجاً إنها ربما استمرت خمسون عاماً مع الأخذ في الاعتبار بمقتل همام وعمره ٢٠ سنة كما جاء في الرواية، حيث أن إدريس وأدهم وأميمة ماتوا بعد ذلك بفترة ليست بقصيرة، وبعد أن تكون مجتمع جديد في منطقة أحداث الرواية، حيث بيت الجبلاوي في المقطم.

هذه الأحداث مرت بشكل سريع ومن ضمنها أحداث أخرى كزواج إدريس، وزواج ابنته، وتكوين المجتمع الجديد، من خلال العلاقات الاجتماعية بين الأسرتين، أسرة إدريس وأسرة أدهم، مع الاختلاف في الطباع و الرؤية وحب الخير أو التقرب من الشر، حيث أن نجيب محفوظ قدم شخصية إدريس كشخصية قيادية للشر، و أكد على هذه الخصوصية من خلال شخصية قدري، ونجد أن هاتين الشخصيتين يشكلان المحور الأساسي في انحراف ذرية الجبلاوي، عكس أدهم وزوجته أميمة، وأبنائه بخلاف همام الذي قتل بيد أخيه، قبل أن يكون له أسرة.

وهنا نجد أن الزمن عند نجيب محفوظ كان سريعاً، لأن الكاتب «محفوظ»، كان يلاحق الأحداث بعبثية مقصودة رغم واقعية الشخصيات التي استمدها من المجتمع المصري، كما أن استطاع نجيب محفوظ أن يضع كل شخصيات الرواية رغم إشاراته إلى أنها تعيش في مجتمع مسلم، حيث وردت أكثر من مرة عبارات تدل على إسلامية الشخصيات مع أن المجتمع الذي عاشت به شخصيات أولاد حارتنا مجتمع يتعاطى المخدرات بأنواعها، ومجتمع فيه الأمراض والقاذورات وليس فيه شيء من التعليم، فهو مجتمع جاهل حيث لا دراسة ولا علم ولا معرفة، وإنما شخصيات تحمل لقب معلم ، أو رئيس، ويستخدم القوة في ضرر من يقف ضده باستخدام ما يسمى النبوت وكأنه هو السلاح الوحيد لشخصيات نجيب محفوظ.

وهنا أيضاً نتساءل: هل أحداث الرواية كانت قبل أن يعرف المجتمع المصري البنادق ذات البارود وقبل الحملة الفرنسية التي غزت مصر؟ والإجابة أكاد أن أقول نعم؛ لأن السلاح الذي استخدمه هؤلاء الرجال كان العصي والنبابيت، بالإضافة إلى السكاكين.

ومما يؤكد عبثية رواية أولادٍ حارتنا، تتابع الأحداث تاريخياً، بين الشخصيات الأساسية، فعندما

Bayan July 2013 Inside.indd 80 6/26/13 9:09:20 AM

نأتي عند شخصية جبل نجد أن الشخصيات التي عاصرت جبل ترتبط بالتاريخ السابق للمجتمع الذي حدثت به أحداث شخصية جبل،فهذه الشخصيات تتذكر أدهم وهمام وقدري وإدريس إلى آخره، وعندما ننتقل إلى شخصية رفاعة، أيضاً نجد الامتداد في الحديث عن الشخصيات التي صاحبت شخصية جبل من المعلمين وزوجة جبل شفيقة، ووالد شفيقة ودوره في تعليم جبل لعبة الثعابين والتخلص منها عند الحاجة كما فعل جبل في منزل شخصية الأفندي وزوجته السيدة هدى والتي كانت تناصر جبل في تخليص المجتمع من الثعابين.

ويمتد الحديث في الرواية عن شخصية رفاعة الذي يتعلم طرد العفاريت من المصابين والمرضى الذين تسيطر عليهم شخصيات من عالم الجن، بل يتفوق رفاعة وبطريقة بعيدة كل البعد عن الأسلوب التي تتعامل به السيدة بخاطرها، ورفاعة هنا يلعب دور الطبيب أو المعالج لتخليص المصابين بمس من العفاريت أو الجن، وهي إشارة واضحة للهداية في الحياة.

وينتهي هذا الفصل بموت رفاعة من خلال قتله بيد المعلمين و اختفاء جثته بشكل غير معروف، وهنا الإشارة واضحة لمكانة شخصية رفاعة عند أهلها وجماعته، مع الأخذ بالاعتبار أن كل هذه الأحداث تدور مرة أخرى في -مجتمع إسلامي- من خلال التكرار والتأكيد على الصلاة على النبي في الحوارات وعلى إشارات أخرى مرتبطة برب العزة والجلالة وهذا يؤكد على ضغط الأحداث في مجتمع محدود في منطقة محدودة في بلد واسع كمصر، فتعاليم جبل وتعاليم رفاعة لم تخرج عن نطاق منطقة جبل المقطم وها هنا أيضاً نأتي إلى عبثية المكان فتخليص المجتمع من الأفاعي والثعابين أو على يد جبل لا ينتقل خارج منطقة أحداث الرواية، كما إن تخليص الناس من المس والعفاريت على يد رفاعة أيضاً لا يخرج عن نطاق محدودية المكان الذي رسمه المؤلف، وهذا يؤكد على عبثية الحدث في موقع واحد ذي أبعاد واحدة وجغرافية واحدة وهذه من صفات الكتابة العبثية عند كثير من كتاب العبث مسرحاً كان أو رواية.

ومما يؤكد ما سبق ذكره نجده أيضاً عند شخصية قاسم، هذا الراعي الذي تزوج من امرأة ثرية وأصبح رجلاً مشهوراً في التجارة وحسن التصرف في كثير من المواقف والذي كان يحاول تخليص أهله وجماعته من الظلم الذي يأتيهم من المعلمين الكبار والذي كان يهدف إلى توزيع الثروة على مجتمعه وجماعته وعلى الجميع دون النظر إلى المكانة الاجتماعية أو السياسية، إنما الناس سواسية في التعامل أمام القانون وأمام الله عز وجل، فقاسم طرح فكرة أن العدالة الإلهية هي الهدف الأول والأخير حتى يعيش الإنسان بشكل لا يختلف عن الآخر، وقاسم شخصية أعطاها نجيب محفوظ الكثير من الحكمة وحسن

Bayan July 2013 Inside.indd 81 6/26/13 9:09:23 AM

التصرف، وبعد النظر في إدارة مجتمعه وأهله وأيضاً، هنا نعود إلى ما سبق ذكره من أن كل هذه الجماعات من خلال رواية أولاد حارتنا تدين بالإسلام.

رغم أيضاً، كما ذكرنا، الإشارة في الكثير من المواقف إلى استخدام الشيشة أو النرجيلة وما يتبعها من مخدرات وكيف وأشياء أخرى، بل إن نجيب محفوظ ذهب إلى أن الحانات كانت موجودة في المجتمعات الثلاثة التي طرحها محفوظ في روايته، أعني بذلك أن الحانة موجودة في مجتمع جبل، وفي مجتمع رفاعة، وفي مجتمع قاسم، وهنا رغم عبثية الوسيلة في مجتمع رسمه الكاتب أنه مجتمع إسلامي لكن حتى تكتمل الصورة العبثية أوجد نجيب محفوظ مكاناً لتعاطي الخمر من خلال وجود الحانات والاتجاه إليها، وهنا نجد من التناقض بين ما يحدث في المقهى الشعبي وما يحدث في الحانة والتي هي تبيع المسكرات، وأيضاً هل هذه الصورة كانت موجودة في المجتمع المصري قديماً؟ سؤال يحتاج إلى بحث ودراسة وتحقيق، ولكن إذا تعاملنا مع أولاد حارتنا على أنها رواية عبثية هذا الأمر مسموح به ومصرح به ولا خلاف على وجوده رغم تعارضه مع طبيعة المجتمع المصري وعقيدة هذا المجتمع «الإسلام».

Bayan July 2013 Inside.indd 82 6/26/13 9:09:25 AM

تراث

البيان

معالم نجد في الأدب العربي

أسعد الفارس

Bayan July 2013 Inside.indd 83 6/26/13 9:09:28 AM

معالم نجد في الأدب العربي

بقلم: أسعد الفارس*

ما قرأت كتاباً في تراث العرب، إلا ووجدت لنجد نصيباً فيه، ولا كتاباً من كتب الأدب، إلا ووجدت وصف نجد يحتل مكانة بارزة فيه، بالإضافة إلى موقع نجد الجغرافي على الخارطة في قلب الجزيرة العربية، وفيه النبات والهواء والماء والأحياء في صور ومشاهد أدبية رائعة. أحب العرب نجداً فتغنوا بمفاتنها، وقالوا فيها أجمل القصائد، وأعذب الألحان. لقد منحت نجد الإنسان العربي أجمل المعاني وأدق المشاعر، وأرهف الأحاسيس، فما أجمل الحديث عن نجد! وما أمتع ذكرها ! فنحن أمام كم من المعلومات والنصوص الأدبية التي تتناثر في كثير من الكتب والمجلدات؛ ولهذا نمر بدوحها؛ لنقتطف منها أجمل الرياحين والأزهار، ولنبدأ أولاً بسرالتسمية، وبموقع نجد الجغرافي في شبه الجزيرة العربية، ومن ثم ماقيل في نجد من روائع الأدب :

النجد في اللغة : ما ارتفع من الأرض وجمعه نجاد وأنجد ونجود، والنسبة إليه نجدي، ويقال فلان طلاع أنجد وطلاع الثنايا إذا كان سامياً لمعالي الأمور، قال حميد الضبي:

وقد يقصُرُ القُلُّ الفتى دون همه

وقد كان لولا القُلُّ طُلاع أنجدُ

والنجد عند ياقوت الحموي : « قفاف الأرض وصلابها، وما غلظ منها وأشرف، أي ما ارتفع من الأرض» ونجد المقصودة موقعها في قلب شبه الجزيرة العربية التي يقسمها العرب إلى خمسة أقسام رئيسة: تهامة والحجاز، واليمن، ونجد، والعروض معتمدين في التقسيم: طبيعة التضاريس، والتنوع والاختلاف في المناخ، والتنوع الحيوي، وطبيعة الغطاء النباتي فنجد في المناخ غير تهامه، نجد باردة وتهامة حارة، قال الشاعر:

نذُق برد نجد بعدما لعبت بنا تهامةُ في حمامها المتُوقد

وعندما نتفقد الغطّاء النباتي في شبه الجزيرة العربية، نجد أنواَعاً من

*باحث من سوريا مقيم في الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 84 6/26/13 9:09:30 AM

النباتات تسود في بعض الأقاليم دون غيرها، فابن الفقيه يقول : « فرق ما بين نجد والحجاز أنه ليس بالحجاز غضى، فما أنبت الغضى فهو نجد، وما أنبت الطلح والسمر والأسل فهو حجاز « وقد اعتدت في كتاباتي العلمية أن أرصد البيئة في نصوص الأدب، بأحيائها الحيوانية والنباتية، وبمناخها في صورة مختصرة معبرة وجميلة فالنص الأدبي يغنينا عن الشروح المطولة، فقد أشار ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله: « إذا تصوبت من ثنايا ذات عرق، واستقبلك الأراك والمرخ، فقد أتهمت « وعن الأبعاد قال الأصمعي : « إذا جُزت وجرة وغمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العذيب» فعمرة في طرق الكوفة، ووجرة في طريق البصرة،أما عن التضاريس فيصف عمرو بن كلثوم في شعره عارض اليمامة «جبال طويق « التي تطوق نجداً :

وأعرضت اليمامة واشمخرت

كأسياف بأيدي مصلتينا

كما يذكرها المُخبل السعدي:

فإن تمنَع سهول الأرض مني

فإني سالك سبل العروض

والشعراء لايفرقون في حبهم مابيَن تهامة ونجد، بل يتوزع الشوق إليهما معا. قال جرير بن عطية الخطفي :

هوى بتهامة وهوى بنجد

فيلتئم التهائم والنجود

غير أن الهوى نجد عند بعضهم، فقد جاء في القصيدة الدعدية، أو اليتيمة التي لا يعرف لها قائل وإن نسبت لدوقلة المنبجي:

إن تتهمي فتهامة وطني

أو تنجدي يكن الهوى نجدُ

وتعد هذه القصيدة من أجود وأروع ماقيل في الشعر العربي، وفيه وصف لمحاسن المرأة، وكأنها المواصفات والمعايير الجمالية لمايعرف اليوم بمسابقات جمال النساء في العالم، فالقصيدة الدعدية معروفة ومعروضة في مصادر الأدب العربي.

كان بودي أن أعرفٍ بقبائل العرب التي سكنت نجداً، أو عبرتها في طريق هجرتها إلى الشمال والشمال الأفريقي، فما من قبيلة مشهورة، إلا وكانت رسوم ديارها تذكر في نجد، فالانتساب إلى نجد يعني الأصالة والفصاحة العربية بأجمل معانيها، فالرحالة الأجانب ذكروا ذلك عن أهل نجد، فقد وصفت الرحالة البريطانية آن بلنت الرجل النجدي بأنه « جنتلمان الجزيرة العربية « وذكرت بأن العقيلات من بدو القصيم كانوا يرافقون القوافل التجارية أيام العهد العثماني إلى الشام والعراق، وكانوا محط احترام كل القبائل التي يمرون بها في طريقهم إلى الشمال؛ لأمانتهم وصدقهم، والقصيم النجدي كان يكثر فيه نبات الغضى، وفيه مياه كثيرة وقرى كثيرة، ومنها القريتان، قريتا ابن عامرٍ، وقد ألف أبو لغدة الأصفهاني كتاباً فيما كان من نجد من البلاد، والقرى والجبال والمعادن

Bayan July 2013 Inside.indd 85 6/26/13 9:09:33 AM

والمياه، ومن ملكها من قبائل العرب في سالف الأيام، ففيها أرض العالية التي كان يسكنها كليب بن وائل. كان أهل القصيم يسكنون خيام الخوص، وفي القصيم منازل بني عبس وغيرهم، وبالقصيم ماء لبني أسد، والعلجز وهو ماء لبني مازن، ولهذا تعد نجد دار العرب ومثابة الهوى. قال الشيخ علي الطنطاوي في كتاب «من نفحات الحرم: «وهل في معجم القومية كلمة أظهر وأكبر وأيسر من كلمة نجد؟ دار العرب ومثابة الهوى وملهمة الشعراء! هل في الأرض كلها على رحبها واد أو جبل أو بحيرة أو أيكة، أو روضة من رياض الحسن، أو جنة من جنان الفتون قال فيها الشعراء مثل الذي قال شعراء العرب في نجد؟ من شعراء الجاهلية الأولى إلى هذه الأيام، لا يضيق مكان القول في نجد، ولا يفرغ الشعر من الكلام عن نجد، وبالإضافة إلى الشعروالشعراء، هناك نثريات جميلة كتبت في نجد، فقد كتب عبدالوهاب عزام عن نجد. قال: « نجد ملعب الصبا والنعامى، ومنبت العرار والخزامى، ومرتع الشعراء، تجاوبت أرجاؤها بأسفارهم ورددت غدرانها ورياضها أخبارهم، بلاد امرئ القيس، وطرفة، والحارث بن حلزة، وأوس بن حجر، وزهير، وعنترة، ومنشأ جرير والفرزدق التي حفظ العرب ذكراها، وردد خارج الجزيرة صداها وحن إلى صباها، ولم أجد وصفا مجزيا بحق نجد مثل الوصف الذي ساقه ابن جبير بحق نجد قال: « بعد مغادرة المدينة بثلاثة أيام، نزلنا بوادي العروس ثم صعدنا منه إلى أرض نجد، ومشينا في بسيطة من الأرض ينحسر الطريق دون أدناها، وتنسمنا نسيم نجد وهواءها المضروب به المثل، فانتعشت النفوس والأجسام ببرد نسيمه وصحة هوائه، وما أرى في المعمورة أرضا أفسح بسيطا، ولا أطيب نسيما ولا أصح هواء، ولا أمد استواء، ولا أصفى جوا، ولا أنقى تربة، ولا أنعش للنفوس والأبدان ولا أحسن اعتدالا في كل الأزمان من أرض نجد، ووصف محاسنها يطول والقول فيها يتسع» ويرى محمود شكري الآلوسي في كتاب تاريخ نجد « إن نجدا هي من أحسن بلاد الجزيرة العربية، وأرقها هواء وأعذب.. طيبة التربة، مياهها عذبة، وفيها أحسن الفواكه والثمار، نبتها الخزامى والرند والعرار، ونسيمها كنسيم الأسحار، ووحشها الظباء والأوانس، وأسدها الشجعان والفوارس، فيها التمر الذي لايوجد في غيرها من الأقطار، والرياض الأنيقة المفتحة الأزهار، ليلها الصفاء والهواء نهار، ونهارها كأيام المواسم للأنظار، فلذلك أصبحت كعبة قلوب العاشقين، ومطاف أذهان الوامقين، ومترنم ألسنة الشعراء المفلقين، لا زالت محروسة بعناية رب العالمين « .

أما عن الشعر والشعراء، فنجد هي التي أنبتت امرأ القيس، والأعشى، وزهير وعنترة وعمرو بن كلثوم، وعلقمة الفحل وآخرين في العهد

Bayan July 2013 Inside.indd 86 6/26/13 9:09:35 AM

الجاهلي. وفي العهد الإسلامي الزاهر جاء جرير وابن الطثرية، وقيس الملوح، والبحتري، وبكر بن النطاح، ويحيى بن طالب وغيرهم، وامتد ذكر نجد حتى وصل إلى شعراء الأندلس، قال عبدالله زمرك

يامن يحن إلى نجد وناديها
غرناطة ثوت نجد بواديها

وبعد كل هذا التقديم المطول عن نجد، نكاد نجزم بأنه لم يذكر الشعراء قط موضعاً أكثر مما ذكروا نجداً؛ ولهذا تصعب الإحاطة بكل ما ذكرعن نجد، ولهذا السبب نتوقف في محطات نجدية خاصة، نرصد فيها البيئة والنباتات، والحالة الاجتماعية والسلوك البشري لأهل نجد، ففي قصائد الشعر العربي كل الذي نطلبه، وقد جمع في نجد شمل العلم والأدب والتاريخ في مشاهد تصويرية فنية رائعة، قال فؤاد شاكر:

سائلوا نجداً ومن في أرض نجد
من بنى التاريخ في عز ومجد
وانشقوا منها عبيراً عاطراً
من أفاويح ونسرين ورند

ولعل طبيعة نجد، وطيب هوائها هي التي صبغت النجدي بسلوك مميز، وكل الصيد في جوف الفرا قال عبدالغفار الأخرس:

بارق الشام إلى الكرخ سرى
فروى عن أهل نجد خبرا
كيف لا أعشق أرضاً أهلها
شملت ألطافهم كل الورى
قل بهم ما شئت واذكر فضلهم
إن كل الصيد في جوف الفرا

كما يذكر الشعراء أن العيش في نجد عيش رغد، والرزق فيها من الله ميسور والحمد لله. قال بديع الزمان الهمداني:

سقى الله نجداً كلما ذكروا نجدا
وقل لنجد أن أهيم به وجدا
طربت وهاجني شمال بليلة
وجدت لمسراهاعلى كبدي بردا
ويا حبذا نجد وبرد أصيلة
وعيش تركناه بساحته رغدا

ومن القصائد التي تسمى النجديات للأموي أو مايدعى بالأبيوردي قوله :

ياسعد إن فراقاً كنت تحذره
دنا لينزع من أحشائك الكبدا
هلم نبك على نجد وساكنه
فلن ترى بعد نجد عيشة رغدا

أما ابن الفارض فيرى أنه أسير طيب أهل نجد، ولا يريد خلاصاً من أسره، قال :

أوميض برق بالأبيرق لاحا
أم في ربى نجد أرى مصباحا
أم تلك ليلى العامرية أسفرت
ليلاً فصيرت المساء صباحا
ياساكني نجد أما من رحمة
لأسير إلف لا يريد سراحا

وكثيراً ما يحن الشعراء إلى نجد عندما يكونون بعيدين عنها، قال البيتوشي الكردي :

Bayan July 2013 Inside.indd 87 6/26/13 9:09:37 AM

إني أحن إلى العراق ولم أكن
لا من رصافته ولا من كرخه
لكن في بغداد لي من قربه
أشهى إلي من الشباب وشرخه
بأبي الذي شوقي له شوق الـ
...سقيم إلى الشفا أوالظليم لفرخه
أو شوق أعرابية حنت إلى
أطلال نجد فارقته ومرخه
قلبي أسير عنده دنف فقل
إن لم يحل أساره فليرخه

ومن أروع ماقيل في الحنين إلى نجد: قول عبدالله بن الدمينة الخثعمي

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن
جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ذاك قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وقد وجد بعض الشعراء في نفسه الألم والحسرة لفراقهم ديار نجد، نرى ذلك في أبيات منسوبة لأكثر من شاعر:

أقول لصاحبي والعيس تهوي
بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار
ألا ياحبذا نفحات نجد
وريا روضة بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحي نجداً
وأنت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا
بأنصاف لهن ولا سرار

قد يحن الشعراء من غير أهل يحنون إلى نجد، غير أن حنين الشاعر النجدي إلى نجد هو قضية مواطنة، ومن حق من ولد بأرض أن يحن إليها وإلى أهلها. قال أبو زياد الطائي:

أحقاً عباد الله أن لست ناسياً
بلادي ولا قومي ولا ساكناً نجدا
ولا ناظراً نحوالحمى اليوم نظرة
أسلي بها قلبي ولا محدثاً عهدا
بلاد بها نيطت علي تمائمي
وكان بهاعصر الصبي نظراً رغدا
بلاد بها قومي وأرض أحبها
وإن لم أجد من طول هجرتها بدا

والآن نقف في مشهد فيه الماء والخضرة والوجه الحسن، يصوره لنا الأموي في قصائده النجدية، فيتحول المشهد إلى لوحة فنية محسوسة عناصرها: شجرة وارفة الظل، سرحة تتهدل أغصانها فوق غدير جادت بمائه المزن، وقد قالت

Bayan July 2013 Inside.indd 88 6/26/13 9:09:39 AM

في ظل هذه الشجرة آنسة حسناء بيضاء، وصفها الشاعر بأروع آيات الحسن والجمال، ومما يزيد الجمال جمالا: الحياء الفطري في هذه الفتاة الجميلة

وسرحة بربى نجد مهدلة
أغصانها في غدير ظل يرويها
إذا الصبا نسمت والمزن يهضبها
مر النسيم على أين يناجيها
تقيل في ظلها بيضاء آنسة
تكاد تنشرها ليناً وتطويها
سود ذوائبها بيض ترائبها
حمر مجاسدها صفر تراقيها
عارضتها فاتقت طرفي بجارتها
كالشمس عارضها غيم يواريها

وعودة إلى البيئة والجغرافيا النجدية، وبعض المصطلحات التي وجدتها في قصائد الشعراء في نجد؛ فعن البيئة النباتية تساءل الشريف الرضي وهو دون كاظمة؛ فقال :

ياصاحبي قفا واقضيا وطري
وحدثاني عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت
خميلة الطلح ذات البان والغار
أم هل أبيت ودار دون كاظمة
داري وسمار ذاك الحي سمار

وفي مكان آخر يقول :

فإن يك شخصي بالثغور فمهجتي
بنجد سقاه المزن صوب غمامه
فاشتم من حوذانه وعراره
وقيصومه وشيحه وبشامه

لقد ذكر الشعراء النبات النجدي وتفننوا في وصفه، ومنه البشام والثمام. قال عبيد بن الأبرص يصف الحمامة بالخرق؛ لأنها لا تحسن بناء العش مثل بقية الطيور، فعشها بسيط البناء، يسقط البيض منه عند أول هبة للريح، وتتعرض الفراخ لخطر السقوط. قال :

عييوا بأمرهم كما
عييت ببيضتها الحمامة
جعلت لهاعودين من
بشم وآخر من ثمامة

وأخيراً وليس آخراً يذكر لبيد بن ربيعة العامري العشر من نباتات نجد :

كان أضعانهم في الصبح غادية
طلح السلائل وسط الروض أوعشر

هذا عن النبات النجدي، فأين ذكر الحيوان النجدي؟! نقول : ذكر النعام من قبل، وهو الطائر الجميل الذي انقرض من شبه الجزيرة العربية.. ذكره يدعي الظليم، والأنثى ربدة، وما دامنا في ذكر الحيوان في نجد، والمدينة من نجد، تذكر بعض المصادرأنه في معركة الخندق اقتحمت مجموعة من شجعان قريش الخندق على أهل المدينة وفيهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فتصدى لهم سيدنا علي رضي الله عنه، وآخرون؛ ففر المهاجمون ومنهم عكرمة بن أبي جهل (قبل إسلامه) الذي ترك رمحه وولّى هارباً فقال الشاعر:

Bayan July 2013 Inside.indd 89 6/26/13 9:09:42 AM

وفر وألقى لنا رمحه
فليتك عكرم لم تفعل
وأخذت تعدو كعدو الظليم
كأن قفاك قفا فرعل

والفرعل هو ابن الضبع. ويتعرض الأموي للريم من الغزال، فكنى به عن حبيبته. قال :

خليلي سيرا بارك الله فيكما
فقد شاقني من أرض عذرة ريم
بهيرالخطي لايكلم الأرض وطؤه
وما حازه منه الوشاح هضيم
ينوش بواديها الأراك وعنده
مناهل ترعى أهلها وتسيم

وعودةٍ إلى المناخ، فمناخ نجد كان ماطراً في الشتاء، كثير البرق، ليله قصير ورياحه باردة. قال الشاعر الشاعر:

ألاأيها البرق الذي بات يرتقي
ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا
ألم تر أن الليل يقصر طوله
بنجد وتزداد الرياح به بردا

أما في الصيف والربيع فمناخ نجد في منتهى اللطف. قال الصمة بن عبدالله

قفا ودعا نجداً ومن حل بالحمى
وقل لنجد عندنا أن تودعا
بنفسي تلك الأرض ماأطيب الربا
وماأحسن المصطاف والمتربعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

ولم ينس الشعراء الجبال، ومنها : جبل الريان من جبال نجد. قال جرير بن عطية :

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نسمات من يمانية
تأتيك من قبل الريان أحيانا

وفي الأمثال النجدية: « تجاوزت شبيثاً والأحص «: ومناسبة المثل أن كليباً قال لجساس حين طعنه: أغثني بشربة ماء، فقال جساس تجاوزت شبيثاً والأحص، ويعني أنه لا وقت لطلب الماء، وشبيث والأحص موضعان بتهامة. وهناك في الجغرافيا النجدية علامات تدل على حدودها، فما بين العذيب وذات عرق نجد، العذيب بظاهر الكوفة، وذات عرق في مدخل الحجاز مما يلي تهامة قال الشاعر:

كأن المطايا لم تنخ بتهامة
إذا صعدت من ذات عرق صدروها

وقيل : إذا جاوزت الحفر حفر أبي موسى الأشعري رضى الله عنه، فأنت في نجد وبالأساس هو حفر بني العنبر كان أبوموسى احتفر فيه ركية. وهناك مصطلحات كثيرة في البيئة النجدية تحتاج إلى إيضاح لغوي وعلمي، ومن هذه المصطلحات الحرة، والحرة أرض تناثرت فيها الحجارة البركانية البازلتية السود التي قذفتها البراكين القديمة، وهي صخور كانت حارة وتبردت. قال أبو نباته الكلابي :

Bayan July 2013 Inside.indd 90 6/26/13 9:09:44 AM

أريتك أن نجداً ألظ بأهله
وحرته العليا الغيوث الرواجس
وعاد نبات الأرض رطباً كأنة
إذا أطردت فيه الرياح الطيالس

ومن أجمل ماقيل في الحرة الأبيات المنسوبة لحسان بن ثابت، فقد مر على قبر ربيعة بن مكدم الكناني وكانت العرب في الجاهلية تعقرعند قبره. قال حسان معتذراً :

نفرت قلوصي من حجارة حرة
بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فإنه
شريب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وطول قفر مهمه
لتركتها تحبو على عرقوب

فاتنا أن نورد ما جاء عن نجد في السير والملاحم الشعبية؛فهذا أمير قبيلة زبيد بهيج بن ذبيان يقول، بعد أن هجر حائل من نجد إلى الشمال :

نحينا رقاب الذود عنهم وغربنا
وعيون الزبيديات إليا نجد مايل
ليا صار ما عدل يعادل عديله
ما ينقعد بالدار والشيل مايل
وليا صار ما حق الفتى بذراعة
هبيت يا حق يجي بالدخايل

وعندما أمحلت نجد، هجرها بنو هلال وغربوا نحو تونس. قال أبوزيد:

ألا يا نجد العذية بلادنا
سبع سنين يا نجد محيل
لا مزنة غرا ولا برق لا عي
ولا راعد من روس الجبال يسيل

فيزيد ابن أخته مرعي، ويقول:

يا خال تاصل ما تريد وتنثني
ونروح حنا للبلا والتلايف
ويا نجد أن جاك الحيا فازعجي لي
مع الطير ولا موميات السفايف

ومن دواعي اليمن والسرور : أن الجزيرة العربية قد توحدت، وحدها الملك عبدالعزيزابن سعود رحمه الله وطيب ثراه، وقد جاء في الشيلات أو العرضات التي أقيمت بين يديه:

نجدا عذرا وأنا خطابها
والزهاب الفشك والمارتيني
هي جتني وأنا طلابها
بأزرق الدرق والسيف السنين

ولابد من التنويه بأن الأدب قد جعل من نجد جنة الله في أرضه، فهل كان هذاالوصف حقيقة ؟ أم أنه من قبيل التمليح الأدبي والمجاز؟. وللأمانة العلمية نقول: كانت نجد خصبة كثيرة المياه والمطر،والمراعي، إلا أن التصحر والتغيّر المناخي، والملوثات، والرعي الجائر، والنشاطات الاقتصادية للسكان،أتت على معالم نجد الجميلة، وأصبحت البيئة في هذه الحال التي لا تسر. كل هذا قلته قي نجد، وبقي في الجعبة الكثير مما نود قوله عن نجد. والله ولي التوفيق !.

Bayan July 2013 Inside.indd 91 6/26/13 9:09:46 AM

مصادر البحث

١- الحسن بن أحمد يعقوب الهمداني (صفة جزيرة العرب) مكتبة الإرشاد. صنعاء. ١٩٩٠ م.

٢- أسعد الفارس (نجد أم ديار العرب) مقالة في صحيفة الأنباء الكويتية. أغسطس. ١٩٩٨ م.

٣- د. عبدالله يوسف الغنيم (أقاليم الجزيرة العربية) جامعة الكويت. ١٩٨١م.

٤- د. عبدالله يوسف الغنيم (حمد الجاسر . سيرته وجهوده في التعريف بالنبات في شبة الجزيرة العربية) الكويت. ٢٠٠٥ م

٥- د. حسن مصطفى (نباتات في الشعر العربي) جامعة الملك سعود. الرياض. ١٩٩٤ م.

٦- د. أمين المعلوف (معجم الحيوان) بدون تاريخ

٧- الأمير مصطفى الشهابي (معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية) مكتبة لبنان. بدون تاريخ.

٨- مجمع اللغة العربية (المعجم الوجيز) القاهرة. ١٩٨٠م.

٩- محمود شكري الآلوسي (تاريخ نجد) مكتبة مدبولي.القاهرة. بدون تاريخ.

١٠- حسن جعفر نورالدين (لبيد بن ربيعة العامري) بيروت.١٩٩٠ م.

١١- محمد بن عبدالله الحمدان (صبا نجد) الرياض. ١٩٩٧م.

١٢- أسامة بن منقذ (المنازل والديار) القاهرة .١٩٩٤ م.

١٣- أسعد الفارس (رحالة الغرب في ديار العرب) الكويت

١٤- الأصمعي (النبات) القاهرة. ١٩٧٠ م.

١٥- محمود شكري الآلوسي(نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب)

مسرح

البيان

دراسة أنثروبولوجية تحليلية.. في الإيروس والمقدس

ناصر الملا

Bayan July 2013 Inside.indd 93 6/26/13 9:09:50 AM

الإيروس والمقدس
دراسة أنثروبولوجية تحليلية

بقلم: ناصر الملا *

صدرت دراسة مسرحية قيمة للناقدة المغربية «الزهرة إبراهيم» عن علاقة المسرح بالأنثروبولوجيا عنونت دراستها بالإيروس والمقدس وعلاقتهما في جينا لوجيا الثقافة المغربية، فهل تتعايش هذه الثقافة ومسرحها مع ذلك المد التجريبي القادم من الغرب لتنصهر فيه طوعاً أو كرها، لتخرج منه خصوصيتها الثقافية والمسرحية في مجتمع كما تذكر متحصن بمؤسسة الدين والأخلاق وما تمليان عليه من نفي وإقصاء لنداءات الجسد ونزواته الحسوية المتحررة. فالإيروس هو أكبر من دافع جنسي، فهو مبدأ الفعل وهو رمز الرغبة المحتدمة باللبيدو وكطاقة نفسية تشمل مجموع رغبات العيش ونزوات الحياة وغرائز البقاء سواء كان موضوعها جنسياً أو إنتاجياً مادياً أو إبداعياً فكرياً أو جمالياً. فالإيروس من هذه الوجهة يكون إثارة ثقافته محرمة، والتطرق في أوجهه المختلفة والمتنوعة أيضا مرفوض وغير قابل للنقاش، لعل البروفيسور «داريوش شايغان» ممن تطرق إلى تلك الجزئية الهامة، حينما ذكر «إن هذا التغريب اللاواعي يتجسد في ميدان الفكر والفن والسلوك الاجتماعي وكذلك في نمذجتنا للإنسان الذي من المفروض فيه أنه يجسد هذه الطريقة في الحضور في العالم. ففي ميدان الفكر نحن إزاء فكر بلا موضوع، بلا أساس وفي ميدان الفن نصطدم بفن بلا محل، وفي ميدان النمذجة الأنثربولوجية نصادف إنسانا هو الصورة المعكوسة للتي كانت مثالنا الأعلى وأخيراً في ميدان السلوك الاجتماعي، نحن إزاء وضعية عبثية لم تكن هي تلك التي حدثنا عنها كتّاب مرحلة البين بين، بقدر ما هي وضعية عبثية فريدة من نوعها نجمت عن التداخل الصارخ بين مستويات ثقافة متنافرة.

(١) المسافة التي تفصلنا عن المحرم كيف تفهمها؟ إن طرحنا هذا السؤال عليك في الثقافة العربية وهكذا في المسرح العربي؟ أي بمعنى أي العلاقة المسموح بها مع المرأة أو الفتاة أو السيدة؟ ولماذا يدخل الفرد سواء على خشبة المسرح ومن خلال النص الذي يتناول فيه المؤلف موضوعاً ما عن المرأة في دائرة المحرمات إن لمس أو تطرق إلى تلك المسائل الخاصة في حياة هذا الكائن المحير و ذي النظرة البهيمية من الرجل الشرقي إليه؟ ثم كيف سوف

* كاتب من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 94 6/26/13 9:09:53 AM

تتجسد نظرية «أرطو» على المسرح فهو القائل: يلزمني ممثلون هم أولاً كيانات أي أنهم لا يخافون على الخشبة من الإحساس الحقيقي بطعنة سكين، وأين العقل الأول «اللوغوس» الذي يفصل بين الخالق والكون في الأفلاطونية الحديثة؟ لماذا ثقافتنا العربية المعاصرة في المجمل مستنسخة من الفعل والفكر الغربي؟ وأين الأبتكار والتجديد والمد الثوري بها وبعاملها الضيق الأفق؟ توضح «جيانا كردي» في دراستها عن Eros و Thanatos بأن الإيروس هو حليف الحضارة وهو معاونها وهدف نزوات الحياة هو الحياة الاجتماعية والعيش المشترك فبذلك يصبح الإيروس أساس الحياة الاجتماعية والعدوانية أكثر مما تمثلت في قمع إيروس (٢). لعل التحامية الأنثروبولوجية التحليلية بالإيروس والمقدس من قبل الناقدة الزهرة إبراهيم وتوظيفهم عبر المسرح لأخذ أشكال متجددة ومتنوعة من حيث الاستخدام والطرح هو مازاد من قيمة هذه الدراسة لأن إعادة مناقشة الأشكال والوسائل التعبيرية في المسرح يحتاج لموروث شعبي مختزل بذاكرة الجماعة المغربية أو العربية وكذلك الانفتاح على الثقافة والمسرح الغربي هو ما يخلق الصدام وبالتالي التفاعل بين المخزونين الشعبيين بإنموذج وطرح ثقافي مسرحي محض. وإلا كيف سوف نتعرف على ملامح وتجارب مسرحية جديدة ومتجددة في الفكرة والطرح من دون إعادة طرح ومناقشة الأشكال والوسائل التعبيرية عن طريق التجريب المسرحي . تذكر الناقدة ما دفعها لتوظيف إنموذج الإيروس في المسرح أو الدراسة في المسرح.

لقد وجدنا في احتفالات شعبية مغربية مسرحاً نابعاً من صلب ثقافتنا ومبرهناً عن ثوابت المسرح بمقاييس نظرية بلورتها عدة مفاهيمية هي خلاصة انفتاح البحث التجريبي-كما درج المسرح الغربي في مراحله المتنوعة بحثاً عن ثقافات خارج أوروبا وإن كان بشك لمغاير لفكرة الناقدة وذلك ما أثرى تحرره من عقدة تقديس النموذج الأوربي نذكر منها على سبيل المثال مفهوم التمسرح القائم على إعداد الممثل وتأهيله جسدياً وانفعالياً وتخييلياً لينقل إحساسه إلى المتفرج، إنه يضحي بجسده جهاراً فيبلغ بذلك نوعاً من العبرنورانية تقربه من القداسة وبالتالي يتحقق ما سماه غروتوفسكي ومشايعوه إعادة تقديس المسرح(٣) هل يستطيع الفن المسرحي أن ينعش مخيلة وذاكرة الأجيال إن لم تكن الثقافة الأدبية والمعرفية على أوجها من حيث الأثر والتأثير؟ وهل يملك المثقف من التأثير ما يجعل جمهوره متأثراً فيه؟

لا توجد موجة ثقافية مستحدثة إن مسرحياً أو شعرياً أو نقدياً تتميز من دون الآخرين بشموليتها وتنوعها دول الخليج العربي كمثال، لعل دول المغرب العربي وهكذا مصر والعراق وسورية ولبنان ممن استطاعوا، وإن بتجارب محدودة من قبل نقادها في خلق حالة متوهجة في ما يتعلق بالنقد المسرحي من خلال توظيف

Bayan July 2013 Inside.indd 95 6/26/13 9:09:55 AM

مخزونهم التأريخي في المسرح والثقافة. والإيروس لا زال محط احتقار تلك العقول الرجعية، العقول التي لازالت تؤثر بمجتمعاتها عن طريق ثقافتها التي تصطدم حينما يلوح الإيروس إليها به إذ لا توافق معه ولا استسهال. فمن هنا من غير الممكن أن يعيش الفنان حياة طبيعية ومن غير الممكن أن تسمح له الجهات الرسمية في تناول موضوع الإيروس لأنه يسبب حساسية لدى الآخرين في ما يتعلق بالغرائز وما هي هذه الغرائز تلك البهيمية مثلاً؟.

تتطرق الناقدة إلى تقنية جسد الممثل وتشير إلى التقاطعات بين نموذجين الأول «مارسيل موس» والثاني» أوجينيوباربا» وباختصار فإنها تذكر أهم التقنيات التي درسها موسى من وجهة النظر الأنثروبولجية والاجتماعية والتي أضاءت محاولات التجريب لدى باربا وهي كالآتي:

(١) تقنية الولادة وكذا وضعية المرأة عند الوضع.

(٢) تقنية الطفولة تربية الطفل وتغذيته – عبودية الطفل بعد العبودية.

(٣) تقنية المراهقة.

(٤) تقنية سن الرشد، تقنية النوم، والسهر، وتقنيات نشاط الحركة «مشي» سباق، ركض تسلق، نزول سباحة، حركات القوة.

(٥) تقنيات علاج الجسد: مسح، صقل، غسل، صوبنة، تنظيف الفم، تنظيف الضرورات الطبيعية.

(٦) تقنيات الاستهلاك: الأكل، الشرب.

(٧) تقنيات الانتاج: أفعال جنسية.

(٨) تقنيات العلاج.

لعل ما يفسر ذلك أو يترجمه على خشبة المسرح هو التجريب المسرحي فهذه المعارف المتمحورة حول اشتغال الجسد داخل ثقافة سواء في إطار ما هو يومي عادي أو ما هو مناسباتي طقسي بقدر ما يتسع خيال المجربين لتلقيح رؤاهم وبلورة اتجاهاتهم فيما يتعلق بإعداد جسد الممثل بالتدريب وتطوير أدائه ليعانق سحر الطقوس وقدسيتها (٤). لعل ما دفع الناقدة لخوض هذه الدراسة هو بحثها عن مقومات المسرح في أشكال احتفالية مغربية كالجسد المملوك والقناع والكرنفال «بركاشو» والدمية الخارقة» تاغنجا» ، و لكن ما يثير التساؤل هو أين الممثل والمسرح والتجريب من التطبيق والإنتاج في المغرب وباقي الأقطار العربية الأخرى؟ لماذا هناك حلقة فارغة بين التجريب والمجتمع العربي، قس ذلك على النصوص المسرحية الأخرى من النتاج العربي الحديث. هي دراسة كما ذكرت في بداية الشرح قيّمة وذات معانٍ واسعة في حقل الإيروس والتجريب وأثرهما على المتلقين. فهل سيعود الإيروس إلى التجريب في المسرح العربي؟ وإلا من أين نستنتج التجربة المسرحية إن كانت حقاً مزدانة بالفن أو هي غير ذلك؟!.

الهوامش:

(١) الثورة الدينية ص١٧٢. داريوش شيغان.

2-www.tevezia. org/seetion.php?id=10960 than atoseros

٣- الإيروس والمقدس ص٨

٤- نفس المصدر ٥٩٠٥٧

Bayan July 2013 Inside.indd 96 6/26/13 9:09:58 AM

أعلام

عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني.. سقط من ذاكرة التاريخ

طلال الجويعد

Bayan July 2013 Inside.indd 97 6/26/13 9:10:00 AM

عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني
شاعر أندلسي مجيد سقط من ذاكرة التاريخ

بقلم : طلال الجويعد *

بلاد الأندلس أو ما تعرف اليوم باسبانيا والبرتغال بلاد عزيزة في وجدان كل عربي ومسلم فهي في ذاكرة التاريخ العربي الإسلامي ذلك الفردوس المفقود الذي عاش فيه العرب المسلمون طيلة ثمانية قرون ثم ارتحلوا عنه مجبرين مضطهدين تاركين وراءهم فيها تراثا خالدا وذكريات بديعة وإثارة عمرانية لا تزال إلى اليوم شاهدة على ذلك الصرح الحضاري العربي العريق.

لم تكن الأندلس بلاد خضرة وطبيعة وأنهار فحسب، بل كانت بلاد الإبداع والعلم والأدب والشعر وأرض الجهاد والفتوحات منذ ان فتحها العرب المسلمون في القرن الأول الهجري إلى أن خرجوا منها في أواخر القرن التاسع الهجري،فمنها برز المخترع الكبير عباس بن فرناس والسفير الأديب يحيي الغزال والشعراء كالالبيري وابن زيدون ولسان الدين بن الخطيب وعلماء كبار كابن يحيى الليثي وابن حزم والطرطوشي والشاطبي وأدباء كبار كالشريشي وابن بسام وغيرهم من علماء الأدب والنحو والطب والفقه، ناهيك عن ملوكها العظام كعبد الرحمن الداخل الأموي وعبد الرحمن الناصر والمنصور بن أبي عامر والمعتمد بن عباد الذين جمعوا بين السياسة والأدب والعلم.

فمن هذه البلاد الجميلة خرج شاعر مشهور في زمانه معروف بين أقرانه إلا أنه ككثير من الشعراء والعلماء دخلوا في دائرة النسيان وتطاولت عليهم العصور، فطوت أخبارهم عنا، ومن أبرزهم الشاعر الأديب عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني القبذاقي البطليوسي الذي اشتهر في زمانه بقصيدته النونية التي يمدح بها الأمير إدريس بن يحيى بن حمود أمير مالقة.

سكتت جميع المصادر التي بين يدينا عن تاريخ ميلاد الشاعر ابن مقانا وعن نشأته وأسرته وكل ما وصل إلينا أنه ولد في بلدة القبذاق وهي بلدة صغيرة تقع بين ساحل شنترة ومدينة أشبونه (لشبونه عاصمة البرتغال حاليا) ويعتقد أن ولادته كانت في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري،ويبدو من أسمه أنه من ذوي أصول اسبانية وممن عرفوا بالمولدين.

---

* باحث من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 98 6/26/13 9:10:02 AM

قال عنه ابن بسام الشنتريني في كتابه الذخيرة :

من شعراء غربنا المشاهير وله شعر يعرب عن أدب غزير تصرف فيه تصرف المطبوعين المجيدين في عنفوان الشباب.

بدأ في قرض الشعر في صباه كما ذكر الشنتريني فأجاد وطاف بلاد الأندلس في عصر ملوك الطوائف ليمدح أمراءها وينال صلاتهم وجوائزهم، فابتدأ بالأمير المظفر منذر بن يحيى التجيبي أمير سرقسطة (٤٠٨-٤١٤) فمدحه بقصيدته التي مطلعها :

لمن طلل دارس باللوى
كحاشية البرد او كالردا

ومنها :

إذا سار يحيى إلى غارة
فويل لأعدائه أينما
إليك ابن منذر المنتقى
قرعت يد الخطب قرع العصا
فقال مناديك لي مرحبا
وقالت أياديك لي حبذا

ثم عرج ابن مقانا على إمارة دانية في جنوب شرق الأندلس ومدح أميرها الموفق مجاهد العامري (٤٠٠-٤٣٦) بقصيدته التي منها :

كأن نجوم الدجى روضة
تجر بها السحب أذيالها
كأن الثريا بها راية
يقود الموفق أبطالها

ويبدو أن ابن مقانا عاش فترة في كنف الأمير مجاهد العامري ثم اتجه شمالا ليستقر في بلنسية وفي بلنسية وصله خبر اعتلاء الأمير مقاتل العامري (٤٣٣-٤٤٥) إمارة طرطوشة على ساحل الثغر الأعلى فسار إليه طمعا في مدحه ونيل صلته إلا أنه لم يسمح له بمقابلة الأمير ومن المرور بأراضيه فكتب إليه ابن مقانا قصيدة منها :

إذا كان واديك نيلا لا يجاز به
فما لنا قد حرمنا النيل والنيلا
إن كان ذنبي خروجي من بلنسية
فما كفرت ولا بدلت تبديلا
هي المقادير تجري في أعنتها
ليقضى الله أمراً كان مفعولا

فيبدو أن ابن مقانا بعد ذلك فكر بالعودة إلى موطنه في غرب الأندلس وفي طريق عودته بلغه اعتلاء إدريس بن يحيى الحمودي (٤٣٤-٤٣٨) إمارة مالقة وإدعاؤه الخلافة لكونه ينتمي إلى الدارسة وهم من أهل البيت، فوفد إليه ومدحه بقصيدته النونية الشهيرة والتي أشهرته في بلاد المغرب والأندلس والتي قال في مطلعها :

البرق لائح من اندرين
ذرفت عيناك بالماء المعين
لعبت أسيافه عارية
كمخاريق بأيدي اللاعبين

فكان ابن حمود يجلس وراء ستارة مقلدا بذلك ما كان يفعله خلفاء بني العباس عندما يقابلون الوفود والشعراء،

فلما بلغه ابن حمود قول ابن مقانا :

Bayan July 2013 Inside.indd 99 6/26/13 9:10:05 AM

يا بني أحمد يا خير الورى
لأبيكم كـــان وفد المسلمين
خلقوا من ماء عدل وتقى
وجميع الناس من ماء وطين
انظرونا نقتبس من نوركم
إنه مـــن نور رب العالمين

امر ابن حمود برفع الستارة عنه ليراه ابن مقانا ثم أمر له بجائزة كبيرة.

ولعل ابن مقانا غادر مالقة بعد مقتل أميرها ابن حمود عام ٤٣٨ وقفل راجعا إلى قريته القبذاق التابعة لمملكة بطليوس آنذاك بعد أن تقدم به العمر ليعيش تحت كنف أميرها المظفر بن الأفطس (٤٣٧- ٤٦١) بعد أن كسد شعره وتراجعت جودته حسب ما ذكر ابن بسام الشنتريني في الذخيرة،وفي القبذاق عاش ابن مقانا بقية عمره يزرع في أرضه الخضراوات كالبصل والقرع ويشكو من جهد العمل وقلة المحصول في بلده ويتذكر جولاته إلى الملوك ونيله لصلاته في الماضي، إلا أن بقاءه في القبذاق كان بسبب حبه لوطنه وحبه للأمير المظفر ابن الأفطس الذي أحسن إليه ووصله.،فنراه يسجل ذلك في قصيدته للوزير الفقيه أبي عامر محمد بن إبراهيم الفهري عندما زاره في حقله ورآه ممسكاً بمنجل ويحصد الزرع بيده فقال له :

أبَا عَامرَ القَبْذَاقُ لاَ تَخْل مِنْ زرعٍ
وَمِنْ بَصلٍ نَزَرٍ وشيءٍ مِنَ القَرْعِ
وإن كُنْتَ ذَا عَزْمٍ فَلاَ بُدَّ مِن رحَى
سَحَابِيَةٍ لاَ تَسْتَمِدُّ مِنَ النَّبْعِ
فَمَا أَرْضُ قَبْذَاقَ وَإنْ جَادَ عَامُهَا
بِمُوفِيَةٍ عِشْرِينَ مِنْ حُزَمِ الزَّرْعِ
وَإنْ أَنْجَبَتْ شَيْئًا وَزَادَتْ تَوَاتَرَتْ
إِلَيْهَا خَنَازِيرُ المَفَاوِزِ فِي جَمْعِ
بِهَا قِلَّةٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَنَفْعَةٍ
كَقِلَّةِ مَا تَدْرِي لَدَيَّ مِنَ السَّمْعِ
تَكْتُ المُلُوكَ الخَالِعِينَ بُرُودَهُمَ
عَلَيَّ وَسَيْرِي فِي المَوَاكِبِ وَالنَّقْعِ
وَأَصْبَحْتُ فِي قَبْذَاقَ أَحْصُدُ شَوْكَهَا
بِمِزْبَرَةٍ رَعْشَاءَ نَابِيَةِ القِطْعِ
فَإنْ قِيلَ تَهْجُوهَا وَأَنْتَ تُحِبُّهَا
فَقُلْ إنَّ حُبَّ الخلِّ مِنْ شَرَفِ الطَّبْعِ
وَحُبُّ أَبِي بَكْرٍ المُظَفَّرُ فَادَنِي
وَإحْسَانُهُ حَتَّى انْصَرَفْتُ إلَى رَبْعِي

وقد قال ابن بسام عن هذه القصيدة أنها من الشعر النازل البارد،ولعل قصد ابن بسام في ذلك ان ابن مقانا قد برع في شعر المديح فقط ونال نصيبا منه ولم يحسن في صياغة غيره من الشعر فكان شعره دون المستوى المطلوب.

وبعد هذه القصة تسكت جميع المصادر الأندلسية عن ما جرى لعبد الرحمن بن مقانا ولكنها تشير انه توفي في قريته القبذاق في عصر المظفر بن الأفطس ولم تشر إلى أي عام كانت فيه وفاته ولا كم بلغ من العمر،وربما يرجع السبب في ذلك إلى شحت المصادر الأندلسية التي ربما تعرض معظمها للتلف والحرق على يد الأسبان بعد طردهم المسلمين من الأندلس، فقد ذكرت المصادر أنهم أحرقوا قرابة المليون كتاب في ميدان غرناطة بعد سقوطها بالإضافة إلى عدم اهتمام غالبية مؤرخي الأدب الأندلسي بذكر تواريخ المواليد والوفيات.

Bayan July 2013 Inside.indd 100 6/26/13 9:10:07 AM

معاجم

كلمات أجنبية في اللهجة الكويتية

جمعها وشرحها: خالد سالم محمد *

تأثرت اللهجة الكويتية على مر العقود بلغات ولهجات مختلفة، كالفارسية والهندية، والتركية والإنجليزية، وبعض الكلمات الإيطالية والفرنسية والسواحلية والأوردية، وبقايا كلمات سريانية وآرامية، وهذا يعكس مدى علاقاتها وتأثرها بحضارة وتجارة تلك الدول منذ نشأتها.

وفيما يلي ثَبْت لبعضٍ من تلك الكلمات.

*باحث من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 101 6/26/13 9:10:14 AM

- ح -	
حَاسْ	من أوراق اللعب، وهي ورقة تحمل رسم قلب أو أكثر، منها باشا الحاس وغلام الحاس وميم الحاس. والتسمية إيطالية ومعناها وَحْدَة. وحاسَ الرمل ونحوه خلطه، وحاس الحَبل فَتَله.
حِبْ	زير كبير من الفخار يوضع فيه ماء الشُرب صيفاً كي يبرد، فارسي معرب، قال أبو حاتم: أصله «خنبَ فقلبوا الخاء حاءً وحذفوا النون فقالوا: حِب. هكذا في المعرب للجواليقي.
حَبَربَش	الحبريش، الرعاع، السوقية، خليط من جنسيات غير معروفة، والتسمية ربما تكون من «خَربش» بالفارسية تقال للرعاة والخدم.
حَفِيز	لفظة قديمة منسية كانت تطلق على المكتب والمحل التجاري، وهي محرفة عن الانجليزية.
حَلِتيت	من العقاقير الشعبية وتسمى أيضاً «صَبغة ريح» تستعمل لطرد الغازات والمساعدة على سرعة الهضم، تؤخذ عن طريق الفم بعد طحنها. اختلف في أصلها، قال أدي شير: الحلتيت صمغ «الأنجذان» وأظنه مأخوذ من «أنكدان أزد» بالفارسية. قال ابن سيده: الحلتيت عربي أو معرب. وفي كتاب من غريب الألفاظ المستعمل في قلب جزيرة العرب: أنه عربي. أما في غرائب اللغة العربية فردّه إلى الآرامية.
حَلوايَه	وتسمى حلوايوه، نوع من السمك تشبه سمك الزبيدي بشكلها وحجمها إلا أنها رمادية اللون تميل إلى السواد، تلازم سمك الزبيدي وتجري مجراه، يقال التسمية فارسية من «ما هين حلو» نوع من السمك.
حَمرُوش	نوع من العصافير يكون ريشه رمادي اللون في جناحيه وأسود في رقبته وبرتقالي في بطنه وذيله، بالإضافة إلى شيء من البياض. فارسية من «هَمه رُوش» أي ريش من كل نوع.

Bayan July 2013 Inside.indd 102 6/26/13 9:10:17 AM

- خ -	
خَاشُوكَة	الملعقة، والجمع خَواشِيك، والتسمية تركية «كاشيك وبالفارسية» قاشق».
خَاك شِير	من الحبوب الدوائية التي تباع عند «الحواج» تنقع مع السكر، تفيد في تخفيف المغص. والتسمية فارسية معناها: حبوب الأسد، هكذا في الموسوعة الكويتية المختصرة.
خَاكَة	تسمية تطلق على حبات العنب التي تتساقط من العناقيد وتباع لوحدها بسعر أقل. والتسمية فارسية تعني كل شيء ناعم كما جاء في المعجم الذهبي- فارسي- عربي.
خَاكي	نوع من النسيج ذو خيوط غليظة، ترابي اللون، ومن هنا جاءت التسمية وهي تركية بمعنى تراب أو لون التراب، وقيل هندية عن الفرنسية بهذا المعنى.
خَامُوش	سكوت، صمت، وهي مستعملة هكذا في اللغات الفارسية، والهندية والأوردية.
خَانَة	زاوية محددة أو مكان خال في الدفاتر تخصص للأرقام والحسابات وغيرهما، أو منزلة أوخانة كخانة الآحاد والعشرات، والتسمية فارسية بمعنى منزلة.
خَاوَر	يخاور، يذهب شرقاً وغرباً على غير هدى، يتسكع. وهي فارسية بهذا المعنى كما جاء في المعجم في اللغة الفارسية.
خَرابيط	بمعنى كلام فاضي وقول لا طائل منه، قيل أنها من «خيت بيت» الفارسية بمعنى الكلام المخربط، وقيل آرامية الأصل، هكذا في قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية لأحمد أبو سعد.

Bayan July 2013 Inside.indd 103 6/26/13 9:10:20 AM

خَرجِيَّة	مصروف جيب يومي أو أسبوعي يعطيه ولي الأمر لولده أو من يعوله. فارسية تركية. كما ورد في معجم ألفاظ اللهجة الكويتية والمعجم الفارسي الكبير.
خِرخَشَة	لفظة صوتية، كأن يدخل أحد من الأهل في غفلة فيسمع له حركة وصوت دون أن يشاهد. فارسية بمعنى: غوغاء، مجادلة.
خَردَة	ما صغر وتفرق، وغالباً ما تطلق على النقود بخاصة القطع الفضية والنحاسية الصغيرة، كما أن البعض يقصد بها مبالغ كبيرة، كأن يقول: «المشروع يحتاج إلى خردة» أي إلى أموال كثيرة. وفي بعض الدول تطلق لفظة «خردة» على سقط المتاع والأشياء المستهلكة. والتسمية فارسية «خُردة» بمعنى قطع نقود وسقط متاع.
خرَيشْ	تطلق على الشخص المهزوز الشخصية غير الواثق من نفسه، حيث يكونِ عرضة للاستهزاء والسخرية، واللفظة فارسية من «خرش» بمعنى سخرية واستهزاء، أو لعلها من «الخراشة» ما سقط من الشيء عند الحت أو البَرِي والتقشير، ومنه خَرشَب العمل لم يتقنه.
خَمْبكَة	الخمبكة، الكلام الفارغ، اللغو الذي لا يجدي، فارسية من «خَم» طبَل و «بوكه» فارغ، والمقصود أن الكلام أجوف مثل الطبل الفارغ.

Bayan July 2013 Inside.indd 104 6/26/13 9:10:22 AM

قصة

البيان

التحية..... حياة الرايس

غبار الروح ..... محمد عطية محمود

حل المشاكل ..... فيصل العنزي

Bayan July 2013 Inside.indd 105 6/26/13 9:11:30 AM

قصة

التحيّة

بقلم:حياة الرايس *

أفاق السّيد إبراهيم هذا الصباح فزعا يرتعد: «هل تأخرت عن عملي ؟ « نظر إلى ساعته:

«غير معقول حتى الساعة توقفت ... إن النهار قد طلع في الخارج ، يجب أن أطير إلى عملي طيرانا ، لن أعطيه فرصة أخرى ، ذلك «النذل» كي يسوّد ملفي أكثر..

ثلاثون سنة لم أتأخر فيها ولو دقيقة واحدة عن المؤسسة، أصل أول الموظفين وأخرج آخرهم .. وهو يعرف ذلك جيّدا... والمدير العام يعرف ذلك أيضا وإلا كيف ردّ عليّ التحّية يوم اعترضته في الدرج.. . نعم لم أصدق في البداية أن الرئيس المدير العام يرد علي التحية ، إنه لم يفعلها مع أحد من الموظفين منذ سنوات لا شك أنه يعرف ملفي الأبيض الناصع جيدا. تحيته ليست مجانية ولا يمكن إلا أن تكون إشارة واضحة إلى عزمه على تعييني في منصب رئيس قسم الموظفين الذي أحلم به طوال حياتي..

وإلا فما معناها؟ وهل يمكن أن يكون لها معنى آخر ؟

أنا واثق أن الرئيس المدير العام لم يحييني ذلك اليوم إلا بعدما درس الأمر جيدا وعرف أنني سأكون الرجل المناسب في المكان المناسب . وذلك النذل يعرف طموحاتي أيضا ويعرف أنه لا يستحق منصبه لأنني منضبط أكثر منه لذلك عمل على عرقلتي فلم يجد ثغرة في حصني الحصين حتى جاء ذلك اليوم الذي اصطحبت فيه ابني إلى مدرسته لأمر ضروري جدا.

ورغم أنني لم أتغيب سوى ساعتين و١٠ دقائق و٣٠ ثانية فقد استغل «النذل» الفرصة ووجه لي توبيخا رسميا، ورغم أنني شرحت له الأمر فقد أصر على موقفه وأفهمني أنه يقوم بواجبه وإن ألححت أكثر فسيوجه لي إنذارا يرفعه إلى الرئيس المدير العام.

ولكن كيف وصلته الأخبار بهذه السرعة ؟ ومن نقل له نيّة المدير بترقيتي ؟ لا شك أن أحد أتباع «النذل « رأى المدير يحييني ! ... كلهم يتجسسون

---

* كاتبة من تونس.

Bayan July 2013 Inside.indd 106 6/26/13 9:11:35 AM

عليّ. ومادام الأمر قد وصل إلى حد التوبيخات والتهديد بالإنذارات لا بد أن ترقيتي أصبحت مؤكدة لذلك أراد «النذل « نسفها

المهم ألا أتأخر اليوم يجب أن أسرع.

نادى زوجته كي تعجّل له بالقهوة فلم تجبه. توتر ... التفت نحوها ليخضها ظنها نائمة.. فإذا هي صاحية.. أعاد عليها طلب القهوة فلم ترد عليه.. اشتد غضبه ، يبدو أنها لا تعبأ بكلامه ولا تهتم به لكنها قامت بعد برهة، دخلت المطبخ أحضرت القهوة ورجعت بها، وضعتها فوق الطاولة على عادتها ووقفت أمامه:

- «إلى متى ستظل نائما اليوم ؟ أنسيت توبيخ البارحة ؟ قم يا رجل وأقصد باب الله»

ثم تركته وخرجت..

- ماذا دهاها المرأة اليوم؟ هل أصيبت في عقلها أم أنها تريد أن تفقدني صوابي؟ إني لست متفرغا لها الآن، سأهتم بأمرها عندما أعود من الشغل المهم أن أخرج بسرعة:

لا يعرف كيف تناول الفنجان ؟ القهوة خالية من كل طعم أو رائحة ، رغم بخارها المتصاعد . لا يدري كيف لبس ثيابه وصار بالشارع... تذكر أنه لم يغسل وجهه .. هل شرب القهوة ؟

عندما مرّ بدكان العم « قدور» حيّاه فلم يرد عليه التحية . .

واصل مسرعا حتى خرج إلى الشارع الرئيسي : « شارع ٢٠ مارس « وقف بمحطة الحافلات « بباب سعدون « رأى بعض الوجوه التي يعرفها حياها.... فلم يرد عليه أحد..

- «ماذا يحدث اليوم ؟»

فجأة قدمت الحافلة الصفراء تزحف مائلة جهة الرصيف لكثر حملها..

- «يبدو أنه لن يفتح الباب .. سنرتاح عما قريب من الحافلة وزحامها، ثلاثون سنة وأنا أركبها يوميا وأحلم بسيارة رئيس المصلحة. إن ذلك لشيء معذب أشد من عذاب الحافلة.

لقد كرهت حياتي قبل ذلك اليوم الأغر يوم «التحية» ولكني لم أشعر أنني متعلق بها متلهف عليها مثلما هو حالي الآن ...»

توقفت الحافلة، فتح الباب رغم اكتظاظها ، تدافع الناس ... وقعت امرأة بين الأرجل ،لم يرفعها أحد مخافة أن تذهب الحافلة ...

احتار كيف سيصعد لقد تأخر كثيرا ... انقبض... تذكر التوبيخ.. لم يدر كيف صار فجأة وسط الحافلة واخترق ذلك الزحام كأنه شبح ولا كيف نزل بعد ذلك بمحطة نهج روما قرب مؤسسته..

Bayan July 2013 Inside.indd 107 6/26/13 9:11:39 AM

لما دخل وجد الحاجب يقرأ الجرائد بمكتب الاستقبال .

- «صباح الخير .. ما هي الأخبار اليوم؟»

لم يرفع الحاجب عينيه عن الجريدة ..

- «غريب ! حتى الحاجب ! .. لقد اشتراه النذل.. هل ينتظر مني رشوة كي يرد السلام ! ..

في الدرج وفي الأروقة.. لا أحد من الزملاء ينتبه له ولا يشعر بوجوده ولا يردّ تحيته. كاد يفقد صوابه.

- «أوصل به الأمر إلى حد تأليب جميع زملائي عليّ بين عشية وضحاها»

اشتد غضبه ، دخل مكتبه ، احتل مقعده... وبقي يفكر في الأمر ..

كان في منتهى الحنق والحيرة والخوف.. فجأة رن التليفون..

- «ألو هل السيد إبراهيم التركي موجود ؟»

- «نعم أنا نفسي تفضل!»

- «ألو هل السيد إبراهيم التركي موجود ؟»

- «نعم تفضل قلت لك أنا نفسي !»

- «ألو هل السيد إبراهيم التركي موجود ؟»

- «نعم موجود ألا تسمع ؟»

مرت برهة انقطع الخط بعدها... وضع السماعة ..

- ماذا يحدث اليوم ؟

أخذ يعيد الشريط من بدايته منذ قام في الصباح تذكر أنه نادى زوجته فلم تجبه لكنها خاطبته فيما بعد كأنه لم ينادها.. القهوة ؟ لا يذكر أنه شربها... العم قدور... الناس في المحطة .. الحافلة.. الحاجب.. الزملاء.. ثيابه كيف لبسها؟ لا يتذكر أنه فتح خزانته واختارها بنفسه كما يفعل كل يوم.. نظر إلى نفسه .. أين ثيابه ؟ بل أين نفسه؟ .. جال ببصره في المكتب أين هو ؟ كرسيه شاغر.. لا يوجد أحد بالمكتب .. طار إلى بيته..

بالباب سمع عويلا.. عندما دخل وجد زوجته وأولاده ملتفين حول سريره ينشجون بالبكاء ...

كان جثمان «إبراهيم التركي» بينهم مسجّى.

Bayan July 2013 Inside.indd 108 6/26/13 9:11:42 AM

قصة

غُبَارُ الرّوح

محمد عطية محمود *

تشعلين مصباحك الخافت في (كوَّته)، فيما بين سقف حجرتك وجدارها، فوق صورتك القديمة بشعرك المنسدل طليقا خلف كتفيكِ وعلى جانبي جبينك، ومحياك الباسم في خفوتٍ صبياني يحمل ثقلاً خفياً، ونظرة عينين وجلتين إلَى مجهول..

بين الأبيض والأسود ترضخ الصورة في ظل مصفر باهت، يمتص ما سمح به الضوء الشحيح؛ فيزداد شحوبه وغمقته، وأنت تُشرفين على رؤوس أشباه لك، بالدم، يصغرونك.. يتراوحون بين الطَول والقصر، وملامح شغبٍ عتيَ، ومسالم، تتشكل في وجوههم الدَهشة.. ربما تميزت/ اختلفت عنهم ببشرتكِ السَمراء النحاسية المطفأة، وَالمستسلمة في آنَ.. صغاراً كنتم، أغـراراً، لم تجمعكم إلا تلك الصورة الباهتة، القادمة من أغوار السنين.

تمتدُ يدك في فضائك.. تتحسسُ منفضةَ سجائرك، العاجيَّة، ببقع حروقها المتناثرة عَلى حوافِّهَا، بعضُها غائرٌ موغلٌ في لُحمتها، وبعضها سطحيٌ باهتٌ فيما بين الأصفر والبني، وقاعُها مسوّدٌ معتم من أثر الطفي..

تُراك تنفضين فيها رماد لفافاتك المتوترة؟!!.. أم تهيلين فيها غباراً متطايراً من أفكار مشوشة أو ندوب تجتاح الروح؟!!.. أم تغمدين فيها ذاك الجسد المتألم فيَّ فضاء مُعتم يمتَّص رحيقه، أو ربما يمتص حياة الروح فيه؟!!

تزوغ عيناك في الصورة.. تُرى هل هُما عيناك مازالتا؟.. أم هما آثار لعيون منسيَة تركتيها . هناك . في منفاك الأول البَعيد .؟!!..

تجتاحك الآن رغبةٌ في التماوج، الانسلاَخ، والارتداد إلى عصا مكنستك القديمة، وأنت تكنسين غبار أيامك المنسيَّة هناك.. تُرى هل تصلُح مكنستك الكهربائية الحَديثة، المعتصمة أمامك بركن الحجرة، لكنس ما تكدس من تراكمات غبار سنينك الجديدة، أم أنها صارت جزءً محبطاً من منفى بعيد اختزلك هنا؟!!

يفاجئك صوته، ترنيماته في أذنيك، التي اخترقت غربة جسدك وروحك،

---

* كاتب من مصر.

Bayan July 2013 Inside.indd 109 6/26/13 9:11:45 AM

في مساحة انفلتت من زمنك، باغتت روحك، زلزلتها، أيقظتها من وهدة وحشة سجنتها في جسد قديم، هو جسدك المترع بشقاء الأيام وعناد الرياح من حولك.

هل تُوحشك الآن صورته، ملامحه، أم أنها صارت طيَّاً، وطيفاً معانداً يناوش رياحك، فتحيلها بنزقك نثار روح تنسحق لتصير غباراً يتراكم على أرضك، من السهل أن تمتصه مكنَسَتك الجديدة، فيهدأ الصوت ولا تسمعين أنينه الخافت، وسط ضجيج طقوس أيامك ـ بعيداً عنه ـ في أذنيك.

يعود ليهزك صليل قلبه المعدني، تميمته التي أودعها بين يديك، وأنت تطئين بأقدام روحك قبل جسدك، أرض منفاك القديم ـ الذي صار منفاه الجديد ـ فتهرعين إلى خزانة أشيائك؛ ينزلق شاله الحريري المضمخ برائحة عرقه ـ الذي طوّق به رقبتك ـ تحت قدميك ويلتف حولهما.. يتمسح ـ الآن ـ في ساقيك، بينما تغيبُ بين طيَّات ملابسك وشوشاتُ ضلوعه إليك ورسائل بوحه وحنينه، وخاتمه الذهبي المختبئ بخزانة أسرارك، ممهوراً باسمه.

تُرى هل صار قلبه حديداً بالفعل؟ أم أن قسوة أيامك قد مسّته وجففت أنهار حنينه إليك؟!!.. وهل مازلت تتوقين إلى ملامسة شاله، ضمُّه إلى صدرك، لفّه حوَل كتفيك وصفحَة عنقك، والاستغراق في رائحة عرقه وبقايا عطره، والتلذذ بمخارج حروف اسمه التي تنطلق من جوف حنينك إلى شفتيك، اللتين كانتا مبللتين بندى عشقه، وتوحدك بك وانصهارك.

تقسو عليك نظرة شقيقتك، المطلة من الصورة، بملامحها التي مازالت تميل نحو الصفرة، تعكس اندهاشاً من نوع مختلف، تمارس عليك دور الأم ـ الذي كنت تمارسينه عليهم بامتياز ـ تجَعل من نفسها رقيبا علَيك.. تشير أصابعها الطويلة المشرَعة في اتجاه وجهك، بعدم الاقتراب، الابتعَاد الواجب، عدم الوقوع مرة أخرى في شراك عنكبوت جديد!!.. أهكذا هي ترى علاقتك بآخر؟!.. وهي الآن في كنف دفئها؟!

يستدير صوته ليناوش روحك.. يتسلل، يوقظ بنعومة متوحشة مكامن صدرك، تهرع يدك نحو علبة سجائرك.. تمتص أناملك المحترقة واحدة، بينما تشتبك عيناك بنظرة أخيك الأكبر، بحنو نظرته وميلان رأسه نحو اليمين، تجاهك فيَ الصورة ـ كمَا في الواقع ـ وكفك تربت على كتفه في اتكاء مرجو، وحنو تفيض به روحك.. يغشاك فيض مشاعره المرهقة، وهو يغتصب أسباب حياته اغتصاباً، وترتبط بك مشيئة أيامه بحبل سري يمتد برغم البعاد، يجعلكما الأقرب والأنقى والأصَفى والأحن في حيز لا يعترف بالدفء.. تقفز في صدرك ووعي ذاكرتك الملتصقة بروحك، أشواق لقائه بك ـ طفلاً صغيراً كما بالصورة ـ عندما عُدتِ من أول منافيك، إلى منفاكم

Bayan July 2013 Inside.indd 110 6/26/13 9:11:48 AM

الأصيل، وتعلقه برقبتك، قبل أن يلتهمك أول عنكبوت . على حد تعبير شقيقتك . ويبتلعك طوفان آسر، يلفظك فيما بعد لطوفان أشد في غربة ممتدة بلا قرار.

ترتعش السيجارة بين شفتيك، تنتج أطيافا تتزاحم.. تتراقص على ضوء شحيح مضبب، تغتالك فيه أقدام متسارعة، صاعدة هابطة، على درجاتٍ سلم تتباعد وتتقاربَ بك.. تومض فيها نقاط مرتعشة لا تفتح طريقا لبصيص نور قد ينبسط، ربما أزاح بعضاً من عتمة.

تتلاعب في رأسك بقايا كلماته، ترنيمات عشقه، نداؤه الذي يشغل حواف القلب ويشعله، يطلق إسار الروح.. يسري خدراً محفوفاً بحذرٍ شديدٍ متردد في ثنايا الجسد المستسلم..

تؤلمك حدة نظرات أخيك الأصغر، وهو يقلِّب سيجارته على جانبي شفتيه، يجرع من كأس نزقه.. تشي ملامحه اللامبالية . في صورتكم . باستهتار وتهور مبكرين، فقد نمت به الأيام ورعرعت فيه نزعته للتوثب والانقضاض، برغم انضوائه تحت جناحي اغترابك!!..

حينما كانت تأتيك الإشارات الوامضة، حاملة نشواك وخدرك، على هاتف المسافات الشاسعة، تخترق جبالك وبحارك التي تفَصلك عن فارس المشاعر النبيل، كانت تأتيك انقضاضة أخيك كسهم نافذ، سكين ناجز يقطع حبال الوصال، فتنزويَ كلماتك ويخذلك ضعفُكَ، ليشتعل الوهَن فيً قلبك، والغضب في قلب ينتهبه عشقك، بليلَ كان لكما وحدكما، ونهارات ممتدة من الشوق والترقب والتقلب على جمر الانتظار.

هل ترين أن فارسك كان . حقا . نبيلا؟!!.. وأنك . حقا . وُلدت، ثانية، من رحم روحه ونزقه، وافتتان روحه بكِ، وتطلعه لاقتسام بهجة ما تبقى من الأيام معك؟!..

أم أنه كان مجرد طوق نجاة، تشبثت به وتشبث بك.. داواك من سقم جرح غائر، خلّفته فيك علاقة آسرة حَميمة، بعنكبوتَ (آخر) نسَج خيوطه حولك، واستسلمت له؛ فالتقمك.. أحكم قبضته عليك.. لم يفلتك، وأسرك في سجن البدن، ثم... لم يحتمل أحوالك، فلفظك.. تركك نهب تحرشك بعالم مازال يكشر عن أنيابه، لتنبت لك مخالب جديدة.

فهل توحشت مخالبك، لتطول فارسك النبيل، وتُحدث به ذات الجرح الذي مازال ينزف بداخلك؟!!.. ترى هل يغفر لك خطَيئة أن حملتيه بعنادك على البعاد، بعدما نشبت فيه مخالبك العنيدةَ التي تشهرينها لأول مرة في وجه أحد؟!!

هل مازالت تؤلمك بقايا نظراته الشاكية التي ظلت تحبو خلفك وأنتِ تولينه ظهرك، والمسافات بينكما تتباعد، في أعقاب آخر لقاء؟!!

Bayan July 2013 Inside.indd 111 6/26/13 9:11:51 AM

ترتعش يدك على الهاتف.. هل تريدين ـ الآن ـ سماع صوته؟!.. أم أن صمتك مازال يخذلك.. يوخز مكامن روحك المحتبسة في جسدك.. يبطئ سير أيامك السكرى.. تتخذل روحك.. أم تتألق؟.. تشتعل جذوة عشقك.. أم تخبو؟.. فالصوت الساري في صمتك القادم من أغوار هجرانك وانكسارك، لا يشبع فيك نهم الخروج من شرنقة صمت يجثم عليكِ وعلى كل الأشياء من حولك..!! ..

«فهل تكفّرين ـ الآن ـ عن صمتك؟!!»

يغشاك صرير الباب، وحفيف أقدام ابن أيامك المضنية، رفيق منفاكِ وعلته، يقترب من أعتاب حجرتك، ببعض من ملامحك الممتدة فيه..

فهل عليك ـ الآن ـ غير أن تغمدي بقايا سيجارتك في جسد منفضتك.. تنزعي عنَك الشال الحريري الذي استقر، رغما عنك/ لا إراديا، على كتفيك.. تلقي سماعة الهاتف إلى جوارك.. تحكمين ضَم شعرك المنسدل على جبينك في فوضى إلى الخلف، بخيوطه البَيضاء المقتحمة، المنذرة.. لتعاودي تشخيص البسمة الزائفة على شفتيك ووجهك، قبل أن يلج نحوك.. يشعل ضوء مصباح الحجرة المعتاد.. يطوِّقك بذراعين فتيتين.. يستنزف ما بقي من ذبالة مشاعرك، فيغيب الظل الباهت عن الصورة، ويزهو ضوء الحجرة، ربما يغتال، إلى حين، بعضا من أغبرتك.

Bayan July 2013 Inside.indd 112 6/26/13 9:11:54 AM

قصة

حل المشاكل

بقلم: فيصل العنزي *

تعبت وأنا أبحث عن الأوراق في شقتي المتواضعة .. حملت قلمي وبحثت في غرفة النوم والصالة وفي المكتبة وهنا وهناك ، قلبت الشقة رأساً على عقب حتى استسلمت وجلست على الكرسي متحسراً ،، وبينما أنا متحسر، غاضب، متأمل ومضة فكرة ! تلألأت في رأسي ،، وإذا بعيني سقطت على جهاز اللاب توب فأسرعت إليه وفتحته وذهبت مباشرة إلى صفحة الو ورد وبدأت في الكتابة ونسيت الفكرة الرئيسية التي ملكتني ،، ذهبت إلى فكرة أخرى ولا أدري إذا كانت منطقية أو غير منطقية .. كتبت عن بعثرتي وعدم تنظيمي مع ادعائي الترتيب والنظام وكتبت عن شاعريتي وحسي المرهف مع إنني أملك قلبا أقسى من الحجر وكتبت حول تسامحي وأنا لا أنسى وأعيد وأكرر وأتذكر ،

ذهبت في يوم من الأيام إلى راقٍ للرقية الشرعية أخبره بحالتي النفسية وما آلت إليها من تناقضات وربكةٍ واكتئاب وقلق ووسواس قهري فأخبرني بأنني مسحور ! ومحسود حسداً قوياً صدقته بالبداية خصوصاً بعد أن أصابني العديد من المشكلات الاجتماعية والمهنية ولكن بعد حين استنكرت هذا الشيء لأن جميع الناس لديهم مشكلات ولكن الفرق في كيفية معالجة المشكلات .. بعد تفكير عميق وطويل عرفت بأنني أنا المشكلة حيث أنني لا لأستطيع حل مشاكلي وأسندها إلى غيري أو بالأحرى أترك المجال لغيري بالتدخل ولا أضع حداً للناس من حولي ..فكتبت عقداً وميثاقاً بيني وبين نفسي بأن لا أسمح لأحد بالتدخل في حياتي لا من قريب ولا من بعيد حتى أستطيع حل مشاكلي .فأردت اختبار نفسي إذ لربما أخل بالعقد المبرم بيني وبينها، فذهبت إلى السوق ارتقب أي شخص كان لأتعارك معه وأعمل مشكلة وأحلها، وقفت أمام محل الخياط، بالصدفة خرج رجل وأنا دخلت اصطدمت به فقلت له: (بغضب) هل أنت أعمى فابتسم واعتذر

* قاص من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 113 6/26/13 9:11:57 AM

وذهب، فدخلت المحل ونظرته نضرة فاحصة وخرجت ،، مشيت بالسوق ذهاباً وإياباً ورأيت رجلاً يدخل محل العطور فدخلت وراءه، وقفت أمام البائع لأسأله ولكنه قال لي انتظر حتى أخدم الزبون الذي وصل قبلك فقلت له خلصني أنا مستعجل ومن يكون هذا الزبون هل هو أهم مني فابتسم الزبون وقال للبائع على راحتك أنا لست مستعجلا، فقلت للزبون هل أنت متفضل علي ، ولماذا أنت مغتر بنفسك فقال: اللهم إني صائم، ترك المحل وابتعد فذهبت وراءه أناديه وأحاول أن أستفزه ولكنه لم يتكلم وتركني وابتعد ولعله كان من كاظمي الغيظ ،، وهكذا أخذت أتحرش بالناس في ذهاب وإياب حتى أظلمت الشمس ،، أحسست بجوع شديد وذهبت إلى أحد المطاعم الشعبية ،، وبينما أنا آكل تذكرت الأحداث التي جرت في السوق والمشاكل التي افتعلتها، ذاك الرجل الذي خرج من محل الخياطة وذاك الرجل الذي كان في محل العطور والبائع وغيرهم حتى عرفت أنهم هم من حلوا المشكلات ولست أنا، وبعد ذلك ذهبت إلى المحاسب لأدفع الحساب فصدم بي شخص فقلت له هل أنت أعمى ونهرته، فضحك فقلت له ماذا بك لماذا تضحك؟ فقال أنا فعلاً أعمى! وقبل أن أنطق بكلمة أخرى وإذا بإخوته وراءه قد رأوا ما حدث ولم يعجبهم ردي لأخيهم فقاموا بضربي ضربا مبرحا حتى سقطت على الأرض وتركوني وذهبوا وبعدها علمت أن العيب بي أنا وليس في الناس من حولي.

وقفت أنفض دشداشتي وأرتب هندامي ولبست غترتي وعقالي ومشيت مبتسما وأنا أنظر إلى القمر.

Bayan July 2013 Inside.indd 114 6/26/13 9:12:00 AM

شعر

تداعيات.....د .خالد عبد اللطيف الشايجي

عتبات الرحيل.....محمد عبد الحميد توفيق

البنفسج..... زكاء مردغاني

رسول الفؤاد.....د .محمد قاسم محمد حسين

Bayan July 2013 Inside.indd 115 6/26/13 9:12:02 AM

تداعيات

د. خالد عبد اللطيف الشايجي *

نكأتَ جروحاً لذا المستهام ولماً تَزَل فيه مستنفرهْ
إذا آسنَ الماء حركتَهُ أثَرتَ مكامنَه المقذره
كواكبنا غرّبَت كلها وولَّت شموسُ السما مُنكَرهْ
تولَّى القصيدُ وكل القوافي وفرَّت سفائنها مبحره
تبرَّأَت الأرض منا فما لهذا الهوانِ بها مقدره
أحقاً لهذي الجموع كيانٌ مكانٌ ..زمانٌ..لهاتذكره
وأين المكارمُ أين المفاخرُ وصناعُ تلك الدُّنىَ المزهرَه
أكانت حضاراتُنا كذبةً أم انَّ انتماءاتنا مُنكَرَه
فلا الشعرُ يشفي جروح الهوان ولا القول ينفعِ والثرثرهْ
ولا الليل يشفي جروح المحبِّ إذا كان محبوبُه منكرَه
ولا الصبح يَحْطِمُ قيد النيام وكل الأمانيَ لن تكسرَه
وهذا الزمانَ يمر ونحن شراذمُ في قيدها محُضَرَه
نيامٌ وقد فَرَّقتها الخطوب تُجَرُّ فرادَى إلى المجزره
وما بينها، بأسُها كالحديد مواتُ القيادِ ولا تبَصره
ونشكوا الزمانَ ونحن المَصابُ لهذا الزمانَ ولا مفخره
فلا تعتبوا .. فالزمان شهودٌ ونحن الخطايا بلا مغفره
نظن بأن التقدم حرفٌ نُنَمِّق فيه بلا مأثره

* شاعر من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 116 6/26/13 9:12:06 AM

وأن الحـــيـاةَ ســـلامٌ ورغدٌ وحـريةُ المـــرءِ في المحـــبرَه
ومـا مـن سـلامٍ بـدون شهـيـد وكـل المعَـالي لهـا مـَوتـــرَه
وفينا دعـيٌّ جَـهـــولٌ مريبٌ يُـزَيـّنُ .. والسوء في المخبره
وكـل الأبـــاةِ بأوطانهـــا حمُـــاةٌ وأوطانُـنـــا مَقبـــره
وذُلُّ اليهـود تعالى علينا وللحِـلم في عجـزنا معـذِره
ونـصـرخ، نـخـرسُ نبكي نقولُ فما يدفعُ الذئبَ أن تنهَـرَه
وبـَكـــرٌ وتـَغـلِـبُ قـد قُتِّلت وعـبـسٌ وذبيانُهـا مدبـره
وعبلـة نحـن .. وشـداد نحـن ونحـن التتار.. ونحـن الـتِّرَه
وعنـــترُ نـال هـــواه غـلاباً وقـيـسٌ بـكاه فما أظفـَرَه
لقـد أكـل الـعُـــربُ أفلاذَهـم وتـلك صحائفُهم مُنشَـرَه
فـلا كـان يـومـاً أطـل علينا وأبـقـىَ جهالا تِنا آخـره

Bayan July 2013 Inside.indd 117 6/26/13 9:12:09 AM

عتباتُ الرحيل

محمد عبد الحميد توفيق *

عتباتُ الرحيل

على عتباتِ الرحيل
تقلِّمين ذاكرتي
وتبترين الفؤاد الذي قد صحا
فجأةً
واستراح لديك
وفتَّش في هدأة الوقت عني
....
على هدبك المتوجع
أحلم؛
أن تحلمي بيدي
وردةً في العراء
وأحلم؛
أن تحلمي بدمي
مبحراً في السماء

* شاعر مصري مقيم في الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 118 6/26/13 9:12:12 AM

أحلم أن تبعثيني
إلى السوق
أبتاعُ ورداً
لأمنحه للعصافير
بيتاً
أحلم أن تطعميني بهاءك
في غفلة من عيون البلاد
وأن تمنحيني
حق اللجوء إليك
سأشكو لعينيك من زمنٍ يرسمني
فوق جذع النخيل/ الغريب
سأشكو لوردة خديك منك
سأشاكس غصن الأنوثة فيكِ
وأبدأ منك الطفولة
بعد سنين البعاد
لماذا رمتني المقاديرُ في الصحراء؟
وأخضرُ عينيك متشحٌ بالتشوق؟
لماذا انتهيتُ إلى بلدً غير ذي زرع ونماء؟
لماذا تركتُ المواقيتَ تبكي؟
والمصابيحَ تذوي
والأغاريدَ ظامئة للحبيب؟
لماذا تفرينَ مني
ودمعة روحي الكسيحة
منفيةُ في دروب البعاد؟

Bayan July 2013 Inside.indd 119 6/26/13 9:12:15 AM

البنفسج

بقلم: زكاء مردغاني *

لولا مروري في ظلال الحلم
ما انهمر النشيد..
يا شاعرا يتلو البنفسج..
يشعل الأنفاس
من نار الوريد..
لولا قرنفلة دنت قاب الفؤاد
ما سالت الكلمات جزلى
في القصيد..
**

«كذا..
فلينجل عنك البياض»..
قالت قصائده.. وأردَتْني فَي اللون الشفيف...
هذا البنفسج لونُ روحي..
أغراه بي وعدٌ شغوف
فأتيتُ نار الحلم.. أستسقي رؤاه
علّي أحلُّ اللغز في سفر الحروف..
وسقطتُ في الهذيان..
في التأويل..
في السرِّ البعيـــد
**

إنّي أراني..
أعصر عمرَ أحلامي دموعاً

* شاعرة من سوريا.

Bayan July 2013 Inside.indd 120 6/26/13 9:12:18 AM

وأصبُّ دمعي في التراب
وأظلُّ ظمأى...
والغيوم تمرُّ حبلى بالوعيـد
فأفيق..
كي أغفو على حلمٍ جديد..
إنّي أراني..
في فناء البرد عاريةً على كتف
الصليب..
لا طير تأكلني..
ولا جسدي رطيب..
والريح تلبسُني...
ويسكنُني النحيب
فأفيق..
كي أغفو على سرٍّ جديد
إنّي أراني..
فوق أجنحة الحمام..
أعبر الأزمان من فصلٍ إلى فصلٍ
فالأبيض الماسيُّ يبدأ بي
لأبات في فصل
البنفسج..
حين يغريني المنـــام...
فأفيق...
تراودني خرافات التأوُّل..
لأضغاث من الهذيان..
علّي بلغتُ طفولةَ الحلم السعيد!
**
لولا انهمار نداك عطراً في المساء..
ماشاقني ظمأ
ولا فاضت سماء

Bayan July 2013 Inside.indd 121 6/26/13 9:12:21 AM

لولا شذاك ونشوة الغيمات
أمطرها
وتمطرني
ما كانت القبلات تهمي
في ترانيم الحياء..
لولاك ماسكرت صلاتي بالندى
لولا الندى ما كنتُ مـــاء.. أو يزيـــد..
**

نخب القصيد..
شربتُ أحلام الصبا
ومزاجها دمع السراب
نخب الحروف..
سكبت روحي في الكؤوس
ورشفت آهات العتاب..
نخب البديع..
وكل آيات البلاغة والبيان..
نخب الخليل
وشاعر ضليل
وألحان تردد فتنة الأحزان
نخب القصيد..
شربت نفسي
وما ارتوى ظمأ النشيد...

Bayan July 2013 Inside.indd 122 6/26/13 9:12:24 AM

شعر

رسول الفؤاد

د.محمد قاسم محمد حسين *

الودُّ منك على المَدى مـوصولُ
يا فوزُ مهلاً فالجـوى مشغـولُ
عيناك سِفـر راح يفتش قـصتي
فأنا الغريم وقلبك المأمـــولُ
إني أنخـتُ بباب قـلبك عـزتي
رفقاً فقلبي في هـــواك قتيلُ
لو كان حبُّك يُشـترى بنفـائس
قـدَّمتُ روحي وهْـي بعدُ قليلُ
إن كنتِ قد أحببتِ حـقاً صرِّحي
ما عاد ينفع في الهوى التأجيلُ
ما عدتُ أخشى في الحياة فراقنا
فالجسم ناءٍ والفــؤاد خلــيلُ
إن كان حبي في فـؤادك راسخاً
طـوبى له لا يعتريه أفــولُ
أصبحت مفتـوناً بحبك فارحمي
جسداً عــراه من الهيام نحول
ما عاد يصبرُ عن بعادك سـاعةً
أنتِ الـدواءُ وليس عـنه بديلُ

* شاعر مصري مقيم في الكويت

Bayan July 2013 Inside.indd 123 6/26/13 9:12:27 AM

إني ظمـئتُ لماء حبك أزمــناً
جـودي بغيثك فالفــؤاد عليلُ
لا تعبثي بعواطفــي ولطائفــي
فالشعر شـــاهدُ لوعتي ودليلُ
فمتى أراكِ يا «فــويزُ» لتطفـئ
جمرَ الفـــؤاد وينتهي التعليلُ
ما كان حبي في حياتك صــدفة
فأنا الحبيب وغيري المفضولُ
ما خنت عهدك في حياتي لحظة
فغــرام حبك في الحشا مفتولُ
إني عشقتك رغم عــزة مذهبي
فأنا العزيز وفي هـــواكِ ذليلُ
أهديكِ من عَـبَقِ البيانِ قصيدةً
في وصفِ حسنكِ تزدهي وتقولُ
هذي القصيدة فالثمي أشــواقَها
هذي إليكِ من الفــؤاد رسـولُ
إني وهبتكِ روضَ قلبي فاقطفي
ثمـــرَ الوصالِ فما عليكِ سبيلُ
فحـروف ذاتك للـــوداد مفازة
إنـي بحـــبك «فـايزٌ» مصقــولُ

Bayan July 2013 Inside.indd 124 6/26/13 9:12:31 AM

النحلة والزهرة

محمد أحمد المشاري *

إذا ربيع دافئ حلاّ
وخضّبت أيامه الحقلا
وانتعشت أزهاره بالشذى
بنفسجا ريان أو فلا

* * *

تَرفرفُ النَّحلة في نشوة
تقولُ في صوتٍ مشوق رقيق:
يا زهرة البستان يا زهرتي
هل أجدُ اليومَ لديك الرحيق؟
فَتضَحَك الزَّهرةُ في بَهُجةٍ،
تَقُولُ: كأسي كادَ منهُ يضيق
فَتَقبلُ النحلةُ في لهفة
ترشفهُ في قُبَلٍ لا تُفيقُ

* * *

حتّى إذا ما الصيفُ في قسوةٍ
أقبَلَ بالسّمومِ والشمس

* شاعر من الكويت.

Bayan July 2013 Inside.indd 125 6/26/13 9:12:34 AM

تُرَدِّدَ النَّحْلةِ للزهرةِ
قَائلةً : يا أمل النفسِ
أَقْبَلتُ في شَوْقي وفي نشوتي
هل أجدُ الرَّحيقَ كالأمس؟
تُجيبُها : وا أَسفا! وَجنتي
قدْ ذَبُلَتْ وحُطِّمتْ كأسي !!

* * *

لكنْ تَعَالي.. أنا مُشتَاقَةٌ
قلْبي من الوَحْدَة قدْ ملاّ
فتُسْرِعُ النحلةُ في لَهْفَةٍ
طائِرةً .. لكنْ ، إلى أَعْلى!!

● العدد السابع والأربعون – فبراير –١٩٧٠م.

Bayan July 2013 Inside.indd 126 6/26/13 9:12:37 AM

يا شعب

عبد الله أحمد حسين *

يا شعب تاه الدرب وانحرف الطـــــريق
قالوا: فلان صار شيئاً واستجد له أمــور
وتخلف الأحرار وانقطع السبيل على الرفيق
وإذا تحدث بين قوم لا يموء ولا يخـــور
وتباعد الخل الوفي وأنكر الــود الشقيــق
فأجبتهم: ياللذكاء الجم والعلم الغزيـــرا
يا أمتي تأبى الشهامة أن تذل وإن نطيــق
حتى ابن «شتربة» تقدم للزعامة والسرير

* * *

أثوابنا فضفاضة هل نحن أقوام كبـــــار
لف العباءة وانبرى يختال بين السادرين
عبثت بنا حتى الخنافس واستبد بنا الصغار
يختال في عبث الزمان وبين أيدي الغافلين
تثغو الشياه وفي الطريق الليث يضنيه الأسار
ونســـــى زمانا كان فيه لعبة للاعبين
لا راية رفعت ولا صوت ينادي للبـــــدار
الناس تعلم من يكون ومن يكون الهازلين

* * *

هُنَّا فقـــامت حــولنا زمر الثعـــــالـب
يا «كاتباً» بز الزمان ويا «خطيباً» في المحافل

* شاعر من الجزائر

Bayan July 2013 Inside.indd 127 6/26/13 9:12:43 AM

والعشب لم يُرضِ الشياه وقد تزاحمت المناكب
يا صاحب الصوَت المجلجل بين مخدوع وجاهل
وتحولت بالناب تفرينا الغداة فلا نغـــالب
الشعب يعرف من يلقنك البذاءة والمهـــازل
سبحان ربي أنبَتَ الأنياب فيها والمخـــالب
والوحي لا يخفى على شعب طعنت له مقاتـــل

* * *

نمنـا وما أمست تحركنا الرزايـــا
لـــــف العمامة واستدار إلى الجموع
القــرد نعبده ونسجد للبغايـــــا
يدعو إلى الدين الحنيف ويستبد به الخشوع
ملــت مراقدنا الوسائد والحشايـــا
لكنّما تحـــت العمامة ما يثيرُ وما يريع
ثـــار الجماد فهل تثور بنا بقايـــا
نَزَّهتُ دينـــي أن يكونَ لكل سابحة قلوع

* * *

أبصرته فوق الأريكة قد تجلبت بالملابس
خلِّ الطريـــــق أما سمعت لنا هزيم
حملته القاب النفاق فصار قطبا في المجالس
قد جـــــاء جيل سوف يقتلع القديم
جم التكبر في الجماعة غائر العينين عابس
والشعـــــب صار بكل خائنة عليم
يبدو اذا عريته جذعا من الأخشاب يابس
فارقب شعاع الشمـــس من خلل الغيوم

● العدد السابع والأربعون – فبراير – ١٩٧٠م.

Bayan July 2013 Inside.indd 128 6/26/13 9:12:46 AM